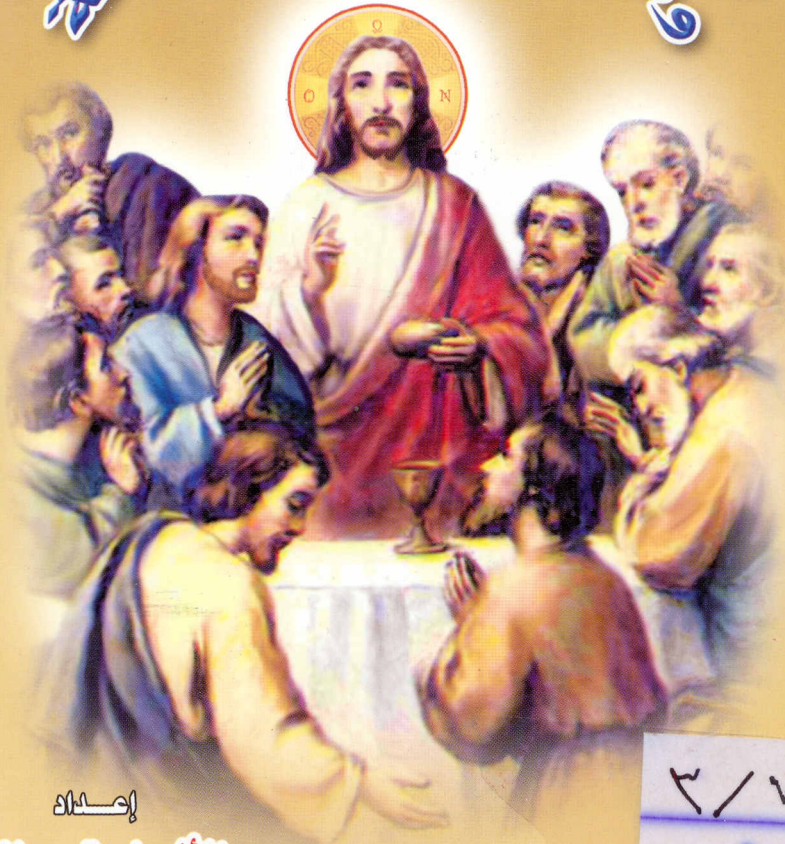




مكتبة دير السريان العامر
تقدم

الخطوة ومهابة الأسرار المقدسة في الكنيسة



إعداد

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

٣ / ٧٥٩

١٦

٣٦٥٥٢ + الرقم العام

٢/٧٥٩ + الرقم الخاص

١٦ + القصة

مكتبة دير السريان العامر

تقدم

الخشوع في الكنيسة

مستكبة
دير السريان المقدسة

مهاجرة الأسرار المقدسة

عن مجموعة مخطوطات أهمها ١٠١، ١٢٢، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٦،
٢١٩، ٢١٦ بمكتبة دير السريان العامر

إعداد

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

اسم الكتاب : **الخشوع فى الكنيسة**
ومهاجرة الأسرار المقدسة

المؤلف : نياقة الحبر الجليل الأنبا متاؤس -
أسقف ورئيس دير السريان العامر

الناشر : دير السريان العامر - وادى النطرون

Web side : www.st-mary-alsowrian.com

اسم المطبعة : تاتش برس - ٠١٠١٧٨٩٣٧٤

تجهيزات فنية : صبحي صادق

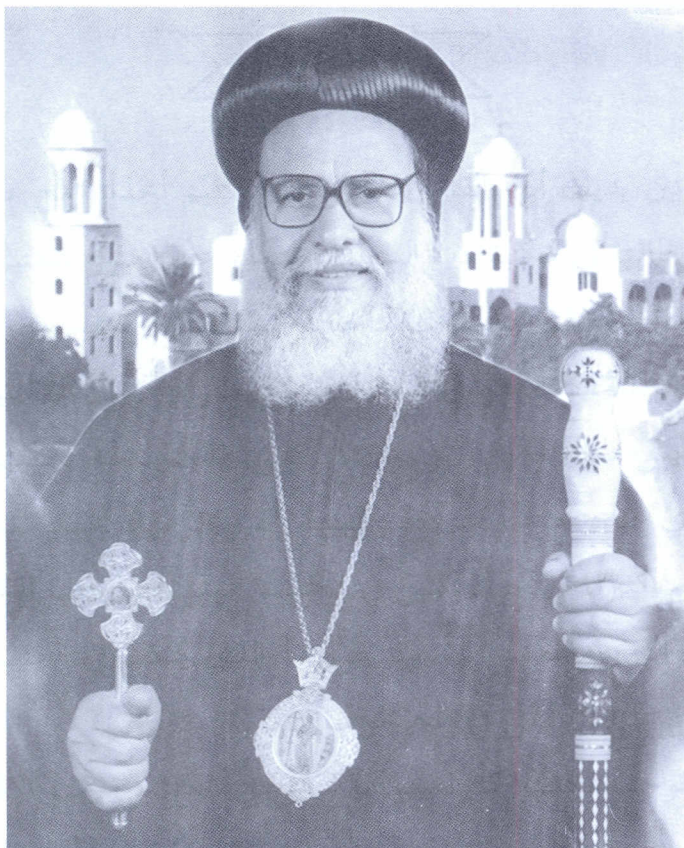
رقم الإيداع : ٢٠٠٩ / ٥١٩١

رقم الكود

١٠٣٠٣٠٢٠



قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر

باسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

مقدمة

بين يديك أيها القارئ العزيز كتاب قيم أخذناه من عدة مخطوطات في مكتبة دير السريان، يتكلم عن احترام الكنيسة المقدسة والخشوع الواجب داخلها كما يقول القديسون " كن في الكنيسة كمن هو في السماء " وقول المرنم " بيتك يليق التقديس طول الأيام " (مز ٩٣ : ٥). فالكنيسة بيت الله والذي عنده خوف الله يوقر كنيسة الله ويحترمها، أما الذي يتكلم كثيراً، ويتحرك كثيراً في الكنيسة فهذا خطأ يجب الإقلاع عنه والقديس موسى الأسود يقول: " الذي يتكلم في الكنيسة يبرهن على أن ليس في قلبه خوف الله " .

توجد عادات كثيرة يعملها الناس في الكنائس يجب الإقلاع عنها مثل الكلام والضحك، والتسابق على القراءات والنشاز في

الألحان لأجل حب الظهور بينما يجب أن يحل محلها التواضع والخشوع ومحافة الله والمحبة.

موضوع آخر مهم يتكلم عنه الكتاب وهو بركات وفوائد حضور القداس الإلهي والتناول من الأسرار المقدسة الرهيبة بخشوع وانسحاق واستعداد واستحقاق حتى تكون لمن يتناولها بركة ونعمة ولا يرتكب جرماً في حق نفسه وحق الله حينما يتناول من هذه الأسرار المقدسة التي هي جسد ودم عمانوئيل إلهنا حينما يتناول كما لقوم عادة بدون استحقاق، ويحذرنا معلمنا بولس الرسول قائلًا: " إِذَا أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزِ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ بِدُونَ اسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرِمًا فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ. لَأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونَ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْثُوتَهُ لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزِ جَسَدِ الرَّبِّ. مِنْ أَجْلِ هَذَا فَيَكُمُ كَثِيرُونَ ضَعَفَاءُ وَمَرْضَى وَكَثِيرُونَ يَرْتَدُّونَ. وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ (بِالتوبة والاعتراف) وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ " (١ كـ و ١١ : ٢٧ - ٣٠).

باستحقاق ويأخذ مفاعيل السر مثل الثبات في المسيح وينال عربون الحياة الأبدية.

نشكر الله الذي أعاننا على إخراج هذا الكتاب الهام ونرجو
أن يكون سبب بركة لكل من يطالعه.

بشفاعة أمنا العذراء القديسة مريم، وصلوات أبينا المكرم
البابا الأنبا شنودة الثالث.

ولربنا كل مجد وكرامة إلى الأبد آمين،،،

الأنبا متاؤس

أسقف وير السريان العامر

عيد نياحة القديس يوحنا
الإنجيلي الرسول { ١٢ يناير ٢٠٠٩ م
٤ طوبه ١٧٢٥ ش

بِسْمِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ وَالرُّحِ الْقَدِيرِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ
يَمْرُوعَةَ الْقَدِيرِ بَابًا وَقِيلَ الْبَطْرِ
يُقْرَأُ عَامًا مَعَ الشَّجِّ فِي الْبَيْعَةِ الْمُدْرَعَةِ
تَحَدَّرَ عَنِ الشَّاعِلِ بِالْحَدِيثِ وَتَحَتَّ عَلَيَّ
الْوَقُوفُ فِي وَقْتِ الْقَدْرِ مُتَقِيمِينَ بِخَوْفِ
اللَّهِ بَرَكَاتٍ قَابِلَةٌ تَكُونُ مَعَنَا آمِينَ

قَالَ يَا أُخُوهُ يَقْمَحُ بِنَا انْ تَمَّحِي مَسْحِي
وَلَمْ تَمَّ الْأَسْمَاءُ بِالْفَعْلِ فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمَسْحِي
يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ وَصَايَا سَيِّدِنَا سُبْحَانَ الْمَسْحِي
وَالْحَمْدُ بِالْأَوْلَادِ وَتَقِلُّ الْعَايِلَةَ وَالْمَسْحِي
وَالْعَايِلَةَ الْفَائِيَةَ أَنْظِرُوا يَا أُخُوهُ إِلَى
الَّذِينَ يَطْلُبُونَ مَنزِلَهُ عِنْدَكَ أَرْضِي
الَّذِينَ يَبِيدُوا الْمَجُودَ وَيَلْأَزُوا أَحَدَهُ

الباب الأول

الخشوع في الكنيسة

- ١- وجوب عدم الانشغال في الكنيسة
- ٢- هل الاجتماع في الأعياد فقط
- ٣- عادات غير مقبولة
- ٤- الخشوع في الكنيسة والمواظبة عليها
- ٥- الخشوع والمغفرة يليقان بكنيسة الله
- ٦- أهمية الخشوع

عدم الانشغال في الكنيسة والوقوف باستقامة في وقت القداس الإلهي (١)

مقدمة ناسخ الميهر

ميهر وضعه القديس أنبا ثاؤفيلس البطريرك يُقرأ على مسامع الشعب في البيعة المقدسة، ويحذر عن الانشغال بالحديث، ويحث على الوقوف في وقت القداس مستقيمين بخوف الله، بركات قائله فلتكن معنا آمين.

- الميهر -

الفصل الأول

وجوب عدم الانشغال في الكنيسة

يا إخوة ليس جيداً أن تُسمى مسيحين ولا نتمم الاسم بالفعل، فإن الرجل المسيحي يجب عليه أن يعمل وصايا سيدنا يسوع المسيح ولا يحتج بالأولاد وثقل متطلبات العائلة والمعاش الفانية، أنظروا يا إخوة إلى الذين يطلبون منزلة عند ملك أرضي، ليس أنهم يبذلون مجهوداً ويلتزمون خدمة بابه باكر وعشية، ويسألون أناساً آخرين، يتشفعون لهم عند الملك بالمال أو بالجاه

(١) من مخطوطة ٣١٦ ميامر - مكتبة دير السريان العامر

أو بغير ذلك حتى تبقى لهم منزلة عنده في خدمة مملكته الأرضية الفانية؟! فكيف يجري مجرى من يريد المنزلة العالية السماوية عند ملك الملوك وإله الآلهة، وهم يتكاسلون عن الحضور إلى القداس، وإذا حضروا لا ينتفعون بحضورهم لأن عقولهم تأمرهم بالانشغال بالحديث والكلام البطال وأمور العيش الفاني وغير ذلك من هموم هذه الدنيا الباطلة، وذلك في الكنيسة التي هي بيت الله الملك العظيم وجمع الملائكة الأطهار؟!!

أما أنت أيها الإنسان المسيحي، عندما تجيء إلى الكنيسة المقدسة لتطلب من الله إهلك الصفح والغفران عن ذنوبك لا تشغل بالحديث البطال وكلام الهزل وتزيد خطاياك على خطاياك المكتوبة عليك. ألم تستح أيها الإنسان أن تترك مسألة حياتك لربك وتتحدث مع الناس بالأحاديث الباطلة وتشغلهم عن الصلاة والتضرع لخلاص نفوسهم. ألا تنظر إلى الكاهن واقفاً منتصباً بين يدي الله أمام الذبيحة المقدسة المُقدَّمة من أجل خطاياك، ألا يجب عليك أن تتشبه به في الخشوع والتقوى والوقار في الصلاة وتساعد في الطلبة عنك ليغفر الله لك ذنوبك ويقبل قرابينك، ألا تنصت إلى الأمانة المقدسة المستقيمة، ألا

تهاب الأسرار الإلهية، ألا تتأمل المائدة السماوية جسد الرب
المقدس ودمه الزكي من أجلك أنت، ألا ترفع صلواتك مع
البخور الصاعد إلى السماء من أجلك، ألا تعلم أن طغعات
الشاروبيم والسارافيم واقفين - غير منظورين لنا - باسطين
أجنتهم بالتسييح وجميع القوات السماوية أيضاً التي لا جسم لها
تصرخ بالتسايح والصلوات من أجلك أمام الذبيحة المقدسة، ألا
تحجل وتستحي من أن لا تصلي وتطلب غفران خطاياك من
ربك، فأنت تعلم أن عدد ساعات الأسبوع مائة وثمانية وستين
ساعة، ألا تقدر أن تعطي ساعة واحدة فيها تطلب من أجل
خلاص نفسك، أم نسيت أبديتك لذلك تقف في الكنيسة
المقدسة بلا مخافة من الله، وتقضي القداس الإلهي بالضحك
والكلام ناسياً ما قاله القديس موسى الأسود " من تعود على
الكلام في الكنيسة فقد دل على عدم وجود خوف الله فيه "،
فأي دالة تكون لك عند الله، وتتقدم إلى الأسرار الإلهية، وأي
ضمير نقى قد أضمرته أو أي قلب طاهر قد طهرته لتأخذ الجسد
الطاهر والدم الزكي الكريم لمغفرة خطاياك.

وعندما تريد أن تتناول من الجسد الطاهر والدم الكريم هل
نزعت الحقد من قلبك، ألم تتذكر قول سيدنا يسوع المسيح له
المجد في إنجيله المقدس: " إن تركتم للناس خطاياهم فأبوكم
السماوي يترك لكم خطاياكم " (١). يا أخي الحبيب أخبرني إن
كانت يدك وسخة وغير نظيفة هل تستطيع أن تلمس ثوب ملك
أرضي؟ مستحيل تقدر أن تصنع ذلك مهما كانت لك عنده دالة
عظيمة. فكيف تتقدم لتأخذ الأسرار المقدسة التي للملك الملوك
وإله الآلهة وأنت غير طاهر الفكر؟! فلا تعتقدوا يا إخوة أن هذا
القربان المقدس يجري مجرى الطعام بل يدخل في مصاعد الروح
والنفس وتتقدس به الأعضاء والمفاصل. فإذا تقدمتم لتأخذوا من
جسده السماوي الذي جعله لغفران الخطايا فلا تعتقدوا أيضاً
أنكم تأخذونه من يد الكاهن المسكين فقط بل من يد رئيس
الكهنة الأعظم، تأملوا إشعياء النبي حينما أخذ ملاك الرب جراً
من النار بملقاط حديد ولمس بها شفقيه قائلاً له: " قد انتزعت
خطاياك منك " (٢) بهذا نؤمن إذا تناولنا القربان المقدس الذي

(١) مت ٦ : ١٤

(٢) إيش ٦ : ٧

هو جسد الرب ودمه الكريم الخارج من جنبه الإلهي المهرق عن خطاياكم. فإن قال قائل منكم: " كيف يصير الخبز والخمر لحمًا ودمًا؟ " أجبتُه بأن الكلمة التي قالت للتراب " كن آدم " فكان هي بعينها تغير الخبز والخمر إلى أن يصير لحمًا ودمًا، وكما أمرت كلمة الله " نيل مصر " أنه إذا أخذ من مائه عبراني فليكن له ماء بارد - صالح للشرب - وإذا أخذ منه مصري صار له دمًا خالصًا، هكذا أيضاً كلمة الله تنقل الخبز والخمر إلى أن يصير الجسد المقدس والدم الكريم، وكما أظهر الله من الشجرة كبشاً لأبينا إبراهيم ليفدي به ابنه إسحاق هو القادر على أن يصير المقدمات لحمًا ودمًا روحانيًا، وكما حول السيد المسيح - له المجد - الماء خمراً في عرس قانا الجليل هو الذي يحول الصعيدة المقدسة بهذا الكيان والكلمة الذي به كل شيء هو الذي يقدم ذاته قرباناً مقدساً روحانياً، وقد قال سيدنا يسوع المسيح له المجد لتلاميذه الأطهار وقت تناول العشاء السري حينما كسر الخبز وباركه قال: " هذا هو جسدي كلوه لمغفرة خطاياكم، وأخذ الكأس وقال هذا هو دمي الذي للعهد الجديد المسفوك عن

خطاياكم"، فهو الذي ينقل الخبز والخمر إلى هذا الكيان المقدم شرحه.

أطلب إليكم يا إخوة أن تقفوا بخوف الله وبقلب نقي وعين شاخصة إلى إله الرحمة بغير حديث ولا انشغال مصغين إلى صلوات الكاهن، ولا تتهاونوا في ساعة القداس الإلهي فإنه وقت مرهوب جداً، بل يجب أن تمجدوا الله طالبين منه بخوف ورعدة مشتركين في الصلاة مع الكاهن والشماس من أجل خلاص نفوسكم. ولا تدينوا بعضكم بعضاً، فتخرجوا من البيعة المقدسة خاسرين غير رابحين. فالواجب عليكم أن تقفوا بخشوع مطرقين إلى أسفل ساجدين بنفوسكم إلى الأرض، رافعين رؤوسكم إلى العلاء بتنهيدات وعبرات، قارعين صدوركم، مبتهلين إلى الذي بذل جسده المقدس ودمه الزكي الكريم من أجلكم حتى يجعلكم مستحقين لحلول روح قدسه عليكم. تأملوا يا إخوة الذين هم وقوف قدام الملك الأرضي، أو قدام من دونه في المرتبة، كيف هم وقوف لا يتحركون، ولا يتزعزعون من موضعهم ولا يلتفتون إلى هنا أو هناك، لكنهم قيام بجزع وهيبة كالحجارة الجامدة، فلنوبخ ذواتنا لأن على أقل سبيل أن يكون وقوفنا أمام

الله كوقوفنا قدام الملك الأرضي، ولا أكف عن تكرار هذه الأقوال مراراً كثيرة لكم حتى أبصركم قد أقبلتم بنجاح في تنفيذ الوصايا وقت وقوفكم في القداس الإلهي.

تأملوا يا إخوة الحياة الأبدية واعلموا أن هذا الزمان هو زمان التوبة والغفران، هذا أوان الجهاد والعمل، هذا زمان الصلاة والصوم والصدقة، والرحمة. يا إخوة هذه الدنيا فانية والأخرى باقية دائمة لا تزول، واعلموا أنه ليس هناك توبة بعد الموت، واعلموا تماماً مهما فعلتم هنا من الخيرات فهو محفوظ لكم عند الله في السماوات. فإذا افتقدت مريضاً أو محبوساً افتقدك الله برحمته في كل وقت، وإن أويت غريباً يأويك الله في ملكوته السماوي، وإن أعطيت صدقة لمسكين أعطاك الله من خزائنه الملائنة، وإن رحمت يتيماً أو أرملة يرحم الله أيتامك ويعولهم، وإن سقيت فقيراً كأس ماء بسقيك الله من ماء الحياة الذي لا يزول، وإن كسيت عرياناً من قماشك البالي يلبسك الله الحلل النورانية. وإن صنعت الخير مع من يسيء إليك وغفرت له يغفر الله لك خطاياك. اعلموا يا إخوة في اليوم الأخير لا ينفك مال ولا بنين ولا أب ولا أخ ولا صديق ولا هدية تُقبل عند

حكم القاضي العادل الذي يعرف السر والعلانية ويجازي كل واحد على قدر عمله إن كان خيراً أم شراً.

أطلب إليكم يا إخوة أن تصغوا إلى كلامي هذا بأمانة ووقار، فكما هشنا مدة طويلة في خدمة جسدنا الخاطيء، فلنعش بقية حياتنا في خدمة الروح ونطلب التوبة بقية عمرنا قبل أن يدركنا الموت، وإن كانت نفوسنا متحجرة ولا تحس فلنخرج على القبور وننظر ما في بواطنها فلا نجد سوى أجسام بالية وعظام منحلة، وروائح كريهة ومنظر يذهل منه العقل .. فمن منا حكيم يستطيع أن يميز من في القبور هو الملك ومن هو الحكيم، من هو الضعيف ومن هو الشريف، من هو الفقير ومن هو الغني، من هو الحر ومن هو العبد ... الكل صار جيفة وتتن، وإذا نظرنا ذلك نتأمل في اليوم الأخير المخوف والممتلئ مجدداً ونتأمل الساعة الرهيبة التي يحكم فيها الحاكم بلا محاباة، فلنرجع الآن على واهب الحياة مادام لنا وقت وزمان فقد اشترانا بدمه الكريم وجسده المقدس. اعلّموا يا إخوة أن كلمة الله ظهر من أجلنا نحن الخطاة، واتضع غاية الاتضاع إلى الهزء والهوان والضرب والسب والبصاق واللطم وتسمير اليدين والرجلين على

خشبة الصليب المجيد وذاق الخل والمرارة وذاق الموت من أجلنا
 وقبر وقام من بين الأموات وصعد إلى السماوات وجلس عن
 يمين الآب في العلاء وهو يأتي أيضاً في مجده العظيم مع ملائكته
 القديسين ليدين الأحياء والأموات ويجازي كل واحد وواحد
 كحسب أعماله خيراً كان أو شراً ولا يأخذ بالوجوه ولا يحابي
 في الحكم، ويجلس على كرسي مجده ويجمع إليه كل الأمم،
 فَيَمِيزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمِيزُ الرَّاعِي الخِرَافَ مِنَ الجِدَاءِ.
 فَيَقِيمُ الخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ. ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ
 لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارِكِي أَبِي رَثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ
 لَكُمْ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لِأَنِّي جُعْتُ فَأَطَعْتُمُونِي. عَطِشْتُ
 فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَأَوَيْتُمُونِي. غُرِيَاناً فَكَسَوْتُمُونِي.
 مَرِيضاً فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوساً فَأَتَيْتُمُونِي. فَيَجِيبُهُ الْأَبْرَارُ حَيْثُذِ:
 يَا رَبُّ مَتَى رَأَيْتَكَ جَائِعاً فَأَطَعَمْنَاكَ أَوْ عَطِشْنَاكَ فَسَقَيْتَنَا؟. وَمَتَى
 رَأَيْتَكَ غَرِيباً فَأَوَيْتَنَا أَوْ غُرِيَاناً فَكَسَوْتَنَا؟. وَمَتَى رَأَيْتَكَ مَرِيضاً
 أَوْ مَحْبُوساً فَأَتَيْتَنَا إِلَيْكَ؟. فَيَجِيبُ الْمَلِكُ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا
 أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ. ثُمَّ
 يَقُولُ أَيْضاً لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلَاعِينُ إِلَى النَّارِ

الأبدية المعدة لإبليس وملائكته. لأنني جعت فلم تطعموني.
 عطشت فلم تسقوني. كنت غريباً فلم تأووني. غرباناً فلم
 تكسوني. مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني. حينئذ يجيبونه هم
 أيضاً: يارب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو غرباناً أو
 مريضاً أو محبوساً ولم نخدمك؟. فيجيبهم: الحق أقول لكم:
 بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا.
 فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية " (١).
 فتأملوا يا إخوتي ما أعظم عمل الرحمة كما يقول الرسول:
 " الرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ " (٢) في الدينونة، فاصنعوا الرحمة
 مع كل أحد ولا تملوا من فعل الرحمة، لكي تأخذوا الرحمة من
 صاحب كنوز الرحمة هذا الذي ينبغي له المجد والإكرام مع أبيه
 الصالح والروح القدس المحيي الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين
 آمين.

(١) مت ٢٥: ٣١ - ٤٦

(٢) يع ٢: ١٣

الفصل الثاني هل الاجتماع في الأعياد فقط؟

(للقديس يوحنا ذهبي الفم) (١)

الكنيسة ميناء السلامة:

أيها الإخوة الأجلاء أنكم اليوم فرحون وأنا فقط وحدي الحزين بينكم وسبب ذلك تأملت لجة عطف الله وحنوه وتأملت غنى كنيسة المسيح التي أعني بها كثرة عددكم أنتم - الذين اجتمعتم في هذا العيد - ثم جاء إلى هذا الفكر أيضاً، أنه متى مضى هذا العيد السعيد، يمضي معه هذا اللطيف المجتمع وينسون حضورهم إلى هذه الكنيسة دفعة أخرى، فينجرح قلبي من تأله لكون كنيسة الله لها أولاد مثل هذا العدد الكبير ولكنها لا تحظى بهم كل يوم بل متى عرض يوم عيد فقط.

أتمنى أن أرى محافل الكنيسة كل يوم مزدهرة بحضور أولادها، بالحقيقة لكنت أحظى بابتهاج لا يوصف، فلنتأمل الملاحين الذين يسافرون في لجة البحر كيف يجتهدون في تدبير

(١) من المقالة الخامسة عشر - مخطوطة ١٩٨ ميامر بمكتبة دير السريان العامر

سفنهم ليتغلبوا على الأمواج والرياح بكل صبر في كل الأتعاب التي تقابلهم إلى أن يبلغوا الميناء، هكذا نحن دائماً موجودون في وسط لجة عظيمة متكاثفة، ونجد أنفسنا في أن نقاومها لنجتازها لكن الهموم الدنيوية والاضطرابات العالمية والعواصف الأرضية تضربنا ضرباً شديداً، وأمواجها العظيمة تطلننا لطمأ متواتراً وتارة تغرق في دوار الأسواق وتارة أخرى في تيار المشاجرات والمحاكم وتربكنا ربوات من الهموم، وللأسف الشديد كثيرون لا يلجأون إلى الكنيسة طوال عامهم إلا نادراً.

يا إخوتي ألا تفقهون أن الله كما وضع ميناء للبحر للأمن والسلام هكذا وضع بيعته المقدسة ميناء للسلام لتتحصن داخلها من مصائب الهموم العالمية، ولننال فيها هدوءاً وسكوناً ونتنجو من الانزعاج والاضطراب، حقاً إذا دخلنا ميناء السلامة اعني الكنيسة فلا نهاب شدة تلاطم الأمواج المضادة ولا نرهب سطوة اللصوص ولا مضرة أحد من الناس الأشرار ولا نخشى صرامة وقسوة الوحوش الكاسرة، لا يكون هناك قلق ولا ارتباك لكونها هي الميناء الحقيقي المخلص لنا من تلك المهاول المذكورة بأسرها.

ها سيادتكم شهوداً على ذلك، ليس أنا فقط، لأن إذا
فحص أحدكم ضميره وقلبه في الكنيسة وجدته هادئاً، مطمئناً لا
يشوبه غضب ولا يزعجه شيء، ولا شهوة جسدية تتقد فيه،
وأيضاً لا حسد يضمرة في دينه، ولا عظمة ولا تشامخ يفسده ولا
مجد باطل ينفخه، بل جميع هذه السجايا الرديئة قد تذللها سماع
تلاوة الكتب الإلهية التي تبطل كل الآلام الوحشية، فإذا كان
هذا الأمر هكذا نافعاً، فكم هو من الجهل والضلال وكم من
الدينونة لك أيها النازح عن ميناء السلامة هذا الذي أعني به
كنيسة الله.

أنت بلا عذر

أي هدف تريده وأية شركة تبتغيها أفضل وأصلح من هذه
الشركة (وجودك في البيعة المقدسة)، لعلك تحج فتقول:
المسكنة والعوز صار لي عائقاً يبعدني عن هذه الشركة الجيدة،
فأجيبك: هذا ليس عذر مقبول وليس هذا مبرراً حقيقياً لك، ألم
تعلم أن الأسبوع سبعة أيام، ولقد قسمها الخالق بيننا وبينه ولم
يخصص لذاته الشطر الأكثر وأعطانا الشطر الأقل، ولا جعل
قسمة أيام الأسبوع بيننا وبينه بالسوية بل وهبك منها ستة أيام

وخصص لذاته يوماً واحداً وذلك لكي يعتقك من الاهتمامات
الدنيوية وتصغى بسمعك إلى تلاوة الكتب المقدسة الإلهية،
وبالرغم من ذلك أنت غير راض على تلك القسمة وتفعل كما
يفعل اللصوص الذين يسرقون أواني الهياكل المقدسة لأنك تتجاسر
في مثل هذا اليوم الإلهي - الذي هو مخصص لسماع الكتب الإلهية
وعمل الخير - وتخطفه وتبدده في الهموم العالمية الباطلة.

ما أقول يوماً كاملاً بل أقول لك افعل كما فعلت الأرملة في تقديم
الصدقة، فلقد أعطت فلسين وربحت بذلك عطايا إلهية كثيرة، فأنت
أيضاً اقرض الله من هذا اليوم ساعتين فسيزقك الله خيراً جزيلاً، وإن
لم تحب ذلك ولا تحب أن تفصل نفسك من الاهتمامات العالمية ولا
تهوى أن تصرف جزءاً يسيراً من النهار في شأن الله، فهل بذلك تقدر
أن تصون ربك وأتعابك؟! فهل أنت القادر أن تمنع كارثة تمزق كل
ما جمعه من قنية مدى أعوام كثيرة في لحظة واحدة من الزمن؟!!

الصناعة الروحية

يجب على المسيحي أن يعرف الكتب الإلهية ويحيط علماً
بالطقوس الكنسية، وأن يكون دارياً بكل معتقداته المسيحية
ليكون مستعداً لمحاوثة كل من يسأله عن هذا الحياة المباركة،

فكيف يحصل على ذلك وهو لا يأتي إلى الكنيسة سوى في الأعياد فقط، فمن أراد أن يكون مُلماً بهذه الأشياء فيجب عليه مداومة الحضور للبيعة المقدسة وسماع التعاليم الإلهية، فيأتي إلى هنا يوماً فيوماً صاغياً لتلاوة الكتب إصغاءً شافياً وبحرص عظيم، فإذا كان اهتمامه هكذا فلا شك في أنه يتقن ما قلناه من الضروريات اتقاناً جيداً. فإذا كان بنوكم وعبيدكم متى أردتم أن تضعوهم عند أرباب الصناعة ليتعلموا صنعة ما فلا تسمحون لهم بالجيء إلى المنزل البتة بل ترسلون لهم ما يحتاجونه من غذاء أو كساء وغير ذلك من الضروريات وذلك ليدوموا الممارسة والمزاولة مع العلم في صدد ما يتعلمونه بأكثر حرص، وحتى لا يعيقهم عن نشاطهم عائق، فإذا كان أولئك المتعلمون صناعة فانية هكذا تعتنون بأمرهم، فكم بالأحرى تعتنون وتهتمون أنتم بأنفسكم الذين تريدون أن تتعلموا صناعة ليست فانية بل باقية وروحية فإنها أعظم وأفضل من كل صناعة وحكمة عالمية التي بها تتعلمون كيف ترضون الله وترثون ملكوت السماء. فلاقتناء هذه الصناعة الروحية يجب الاعتناء والاهتمام والخضوع وسماع وصايا المعلم الحقيقي، فاسمعوا ما يقوله في إنجيله الصادق:

" تَعَلَّمُوا مِنِّي لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ " (مت ١١ : ٢٩)
فمن يشأ أن ينال هذه المعرفة الروحية، يشتاق من كل قلبه إلى
معرفة ومحبة الله والإصغاء لوصاياه، بمداومة الحضور إلى بيته
المقدس الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

الفصل الثالث

عادات غير مقبولة يجب ألا تحدث في بيعة الله المقدسة

(من أقوال الأنبا يوساب (الأب) - أسقف مرجا وأرميم) (١)

لقد كلمتكم مراراً من أجل العادات التي دخلت البيعة المقدسة، فلقد أدخلتم إلى الكنيسة عادات رديئة بسببها يحدث الغضب والخصومات حتى أن البعض منكم يجسر على أن يمد يده بالضرب في بيعة الله التي هي عامود الحق وأساسه والتي هي أيضاً موضع التوبة والندامة على ما سلف من الخطايا والذنوب فكيف أنتم تصيرون هذا الموضع المقدس موضعاً للشرور، اسمعوا قول الكتاب المقدس: " مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلَاةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةً لُصُوصٍ! " (٢). فيا أولادي الأحباء المحبوبين لا تصنعوا داخل بيعة الله المقدسة عادات بخلاف قوانين الكنيسة، فالرسول بولس يقول أن الله وضع في بيعته أولاً رسالاً ومن بعدهم أنبياء، ومن بعدهم مفسرين وآخرين مدبرين وبعد ذلك

(١) من المقالة الخامسة عشر - مخطوطة ١٢٣ ميامر بمكتبة دير السريان

العامر

(٢) مت ٢١: ١٣

أورد بقوله يا ترى هل كلهم رسلاً أو هل كلهم أنبياء أو هل كلهم مفسرين أو هل هم كلهم أعطوا لهم مواهب شفاء، إنما الروح الواحد قسم المواهب على كل واحد، كل واحد على قدر ما يسع (١). والقديس يعقوب يقول: " لَا تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ كَثِيرِينَ يَا إِخْوَتِي، عَالِمِينَ أَنَّنَا نَأْخُذُ دَيْتُونَةَ أَعْظَمَ! " (يع ٣: ١). والآن قد رأيت في بيعة الله المقدسة منافسات ومخاضات على القراءة وعلى ترتيل الألحان، وصيرتم بيعة الله كأنها بغير نظام واحد يقول: " أنا معتاد على قراءة الإنجيل "، وآخر يقول: " أنا المعتاد على قراءة هذه الرسالة " وهكذا، وقد يتجرأ البعض على أن يريد أن يورث الكهنوت لأبنائه فيقول: " أنا كاهن وأبي كاهن وابني لابد أن يكون كاهناً لهذه الكنيسة " عرفوني يا أحبائي هل هذا كهنوت مرضى أمام الله؟

هل هكذا يكون الكاهن الذي اختاره الرب؟ هل هذا الذي هو هذه صفته تمبط عليه العطية الصالحة والموهبة التامة التي هي من فوق العلاء من عند أب الأنوار، فمثلاً في دورة أيقونة الصليبوت، يوجد قوم يقولون نحن الذين نحمل هذه الأيقونة في

(١) راجع ١ كو ١٢

الدورة وليس غيرنا يحملها ويحصل بينكم مخاصمات ومشاحنات وكلام سفيه، فهل هذا صلاة وطلب مغفرة وإنما صيرتم بيعة الله للمشاجرات والمخاصمات، يا من تريدون أن تمضوا إلى بيعة الله لتصلوا وتتضرعوا لله من أجل مغفرة خطاياكم، كيف تزدادون خطية على خطية، فإن موضع التوبة والبكاء والنوح على الخطية صيرتموه موضع للشراسة والعجرفة، موضع الغفران والمسامحة صيرتموه موضع للعراك والمخاصمة. اعلّموا أن هذه عادة سيئة تعلمتموها. عرفوني يا أولادي المحبوبين هل هذه قوانين تعلمتموها من سادتنا الرسل أم عرفتموها من معلمي البيعة، أم الإنجيل أمركم بذلك، كلنا نعرف تماماً تعاليم الإنجيل، فالإنجيل المقدس يقول أن من قال لأخيه يا أحمق فقط، وجب عليه نار جهنم (١)، وكل من قال كلمة بطالة يعطي عنها جواب يوم الدينونة (٢). عرفني يا ابني الحبيب الذي تريد القراءة في الكنيسة بغير أحد يدعوك وتريد أن تنصب ذاتك للقراءة وحدك بغير رأي مدبري الكنيسة، اعلّم أن هذه عادة سيئة قد اكتسبتها. ما

(١) مت ٥ : ٢٢

(٢) مت ١٢ : ٣٦

هو ربحك من القراءة؟ يا ترى لأجل أن تربح ذاتك وتثقف نفسك، إن كان ذلك اسمع قول الحكيم " اسمع أفضل من أن تتكلم "، أم قراءتك لأجل تعليم الشعب وثقيف الجماعة فإن كان هذا ظنك فهو باطل لأن ليس أحد دعاك ويكتك قول يعقوب الرسول بأن لا يكون فيكم معلمين كثيرين أيها الإخوة لأنكم أوجبتم على أنفسكم أعظم دينونة (١)، أم قراءتك لأجل الافتخار أم من أجل أن يمدحك الحاضرون ببلاغة خطبتك وصحة ألفاظك وحلاوة نغمتك، فإن كانت هذه السجية سجيتك وهذا الضمير ضميرك وهذه النية نيتك، فأنت طالب المجد من الناس وهذه خطية وعدم أمانة بالمسيح لأن الإنجيل المقدس يقول كيف تستطيعون أن تؤمنون بي وأنتم تطلبون المجد من بعضكم بعضاً (٢). وإذا كان المتسابق على القراءة عاجز في الفهم أو اللفظ فيصير بسبب قراءته تدمر وسجس وسخط، وبذلك يأخذ أجره قراءته خطية على خطية. وأعود أسأل قائلاً: " عرفني أنت أيضاً يا من تشاجرت وتخاصمت على حمل

(١) يع ٣ : ١

(٢) يو ٥ : ٤٤

الأيقونة ما هي نيتك؟! وما هو ضميرك في مخاصمتك هذه على حملها؟! " يمكن أن تجيب وتقول لأجل اكتساب البركة، وضميرك يُسر بذلك ويفرح عندما ترى ذاتك حامل أيقونة المسيح وتغضب إذا رأيت أحد يحملها غيرك، ويمتلئ داخلك حسد وغيره حينما تراه يحمل الأيقونة وأنت لم تحملها. فأقول لك أيها الغيور، غيرتك هذه ليست صالحة، ألم تسمع قول الرسول حيثما يكون الحسد والانشقاق والمنافسات هناك يحل غضب الله وهذه الحكمة ليست من الله لكنها أرضية نفسانية شيطانية لأن حيث يكون الحسد والانشقاق فهناك تكون المخاصمات وكل أمر رديء (١).

اعلم يا أخي الحبيب أن جميع ما أصابك فهو من عدم المحبة، فإن كانت داخلك المحبة فلن تظهر هذه الإشارات فيك، لأن صاحب المحبة لا يغضب وصاحب المحبة لا يحسد ولا يتنافس ولا يطلب ما هو لنفسه، ربما تقول يحدث هذا مني لأجل الحصول على البركة وتظن بذلك تتخلص من الملامة، فاسمع قول بولس الرسول القول الإلهي: " فَإِنْ كَانَ عَضُوٌّ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ فَجَمِيعُ

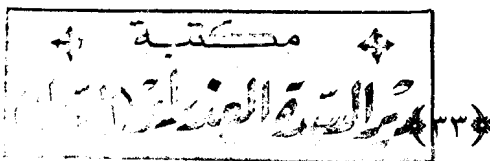
(١) يع ٣: ١٥

الأعضاء تتألم معه. وَإِنْ كَانَ عَضْوٌ وَاحِدٌ يُكْرَمُ فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَاداً" (١).
 والإنجيل المقدس يقول أن السيد المسيح أشار إشارة وأعطى علامة لتلاميذه قائلاً: "بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضاً لِبَعْضٍ" (٢).

وقد روى الآباء الرهبان الشيوخ بأن كان هناك أخان في دير واحد وكانت بينهما محبة شديدة، محبة واحدة وكاملة، فظهر ملاك لأحدهما في إحدى الليالي وأعطاه السلام، فقال الأخ للملاك: "لماذا أتيت يا سيدي؟" فأجابه الملاك قائلاً: "لقد أتيت لأباركك كما أمرت من الرب". فأجاب الراهب: "لا يا سيدي، امض وبارك أخي" فقال له الملاك: "ما منفعتك أن أبارك أخاك وأنت لا أباركك؟! " فقال ذلك الأخ: "أنا أريد أن يكون أخي مباركاً دائماً ويكفييني مباركة أخي وأن يكون من الله مباركاً" ثم مضى من عنده الملاك إلى الأخ الآخر وعرفه بأنه ملاك الرب ظهر له ليباركه. فأجابه مثل الأول تماماً قائلاً:

(١) ١ كو ١٢: ٢٦، ٢٧

(٢) يو ١٣: ٣٥



" يا سيدي امض إلى أخي وباركه " وتكلما معاً كما حدث مع الأخ الأول بالضبط، تعجب الملاك من محبتهما بعضهما لبعض وبارك الاثنين على السواء، وانصرف صاعداً إلى السماء، نعم هذه هي المحبة الكاملة المرضية لله.

ربما تتصرف في الكنيسة بأنك أنت الكبير والمعروف بين الناس فلا يجب لمن هو أدنى منك أن يقول أو يحمل أيقونة بدلاً منك وأنت حاضر في الكنيسة، فإن كانت هذه النية نيتك وهذا الضمير ضميرك فإن فعلك هذا افتخار وعظمة وليس تطلب بذلك بركة ولا نعمة وإنما تصلفاً وافتخاراً وعظمة وارتفاعاً على جماعة الله، لا يا أولادي لا تكون هذه المناقب مناقبكم ولا هذه السجايا سجاياكم ولا هذه العادات عاداتكم، فكل منكم يرجع عن هذه العادات الرديئة وكل واحد منكم في طقسه ويقف في رتبته. العلمانيون في طقسهم والإكليروس في طقسهم، الشمامسة لقراءة الإنجيل والرسائل وخدمة المذبح، وخدمة الكهنة أيضاً، والكهنة فليقفوا في أول الجماعة لأنهم رؤساء ومدبرون ومن فمهم تسمعون حلاً لآثامكم ومن أياديهم تأكلون جسد ربنا يسوع وتشربون دمه، نعم ابن الإنسان أعطى

السلطان للكهنة أن يغفروا الخطايا على الأرض، فلا يجب لأحد من أبناء المسيحيين من شمامسة وعلمانيين أن يبدأ صلاة أو طلبة والكهنة حاضرين، ولا يقرأ تفسير ولا موعظة ولا تعليم إلا إذا كان الكهنة أمرته بقراءة ذلك. وإذا كان أحد الكهنة يصلي صلاة أو يقدس القرايين، فلا يجب لأحد من الشعب أو المرتلين يسبق بالمرد قبل أن ينتهي هذا الأب من صلاته. يا إخوتي لقد رأيت في الكنيسة أموراً غريبة فهناك من لا يحسنون القراءة يتسابقون بالمردات قبل المتعلمين، وهناك أيضاً آخرين يسبقون بالمردات قبل موضعها، وغرضهم في ذلك الافتخار، فيحاول كل منهم أن يتسابق ليقول أولاً لسماع صوته للشعب قبل أن يختلط صوته بصوت الجماعة، لدرجة أن هناك كهنة لا تستطيع أن تكمل الأواشي بسبب استعجال المرادات.

يجب عليكم يا أولادي الأحباء أن تكونوا واقفين في الكنيسة بخوف ورعدة وخاضعين كلكم للأب الكاهن، مطيعين لقوله وسامعين لأمره وكل شيء فليكن بترتيب ونظام، فمن أين دخلت هذه العادات التي كلها بعدم ترتيب ونظام، هل أنتم أحدثتموها أم من آخرين تعلمتموها.

وأقول أيضاً أن الغنم إذ لم يجد راعي صالح يكون ساهراً عليها، تحتطفها الذئب وتكثر فيها الأمراض والجزب، وإذا كان الراعي كسلاناً ولم يهتم برعاية غنمه، فلا يطعمها في مرعى جيد، ولا يسقيها من ماء صافي، فإن غنمه تموت من الجوع والعطش أو تموت من سوء الطعام والشراب ... أخيراً أقول لكم يا أولادي فلتكن المحبة بينكم والمغفرة والصفح بين بعضكم بعضاً وأسأل الله أن يهبكم محبة روحانية بغير محاباة حتى تثمروا الواحد ثلاثين وستين ومائة بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد الدائم مع أبيه الصالح والروح القدس الآن وإلى أبد الدهور كلها آمين.

السلطان للكهنة أن يغفروا الخطايا على الأرض، فلا يجب لأحد من أبناء المسيحيين من شمامسة وعلمايين أن يبدأ صلاة أو طلبة والكهنة حاضرين، ولا يقرأ تفسير ولا موعظة ولا تعليم إلا إذا كان الكهنة أمرته بقراءة ذلك. وإذا كان أحد الكهنة يصلي صلاة أو يقدس القرايين، فلا يجب لأحد من الشعب أو المرتلين يسبق بالمرد قبل أن ينتهي هذا الأب من صلاته. يا إخوتي لقد رأيت في الكنيسة أموراً غريبة فهناك من لا يحسنون القراءة يتسابقون بالمردات قبل المتعلمين، وهناك أيضاً آخرين يسبقون بالمردات قبل موضعها، وغرضهم في ذلك الافتخار، فيحاول كل منهم أن يتسابق ليقول أولاً لسماع صوته للشعب قبل أن يختلط صوته بصوت الجماعة، لدرجة أن هناك كهنة لا تستطيع أن تكمل الأواشي بسبب استعجال المرادات.

يجب عليكم يا أولادي الأحباء أن تكونوا واقفين في الكنيسة بخوف ورعدة وخاضعين كلكم للأب الكاهن، مطيعين لقوله وسامعين لأمره وكل شيء فليكن بترتيب ونظام، فمن أين دخلت هذه العادات التي كلها بعدم ترتيب ونظام، هل أنتم أحدثتموها أم من آخرين تعلمتموها.

وأقول أيضاً أن الغنم إذ لم يجد راعي صالح يكون ساهراً عليها، تختطفها الذئاب وتكثر فيها الأمراض والجرب، وإذا كان الراعي كسلاناً ولم يهتم برعاية غنمه، فلا يطعمها في مرعى جيد، ولا يسقيها من ماء صافي، فإن غنمه تموت من الجوع والعطش أو تموت من سوء الطعام والشراب ... أخيراً أقول لكم يا أولادي فلتكن المحبة بينكم والمغفرة والصفح بين بعضكم بعضاً وأسأل الله أن يهبكم محبة روحانية بغير محاباة حتى تثمروا الواحد ثلاثين وستين ومائة بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد الدائم مع أبيه الصالح والروح القدس الآن وإلى أبد الدهور كلها آمين.

الفصل الرابع الخشوع في الكنيسة والمواظبة عليها

(للقريس يوحنا ذهبى الفم) (١)

عتاب:

إنني اليوم متعجب لتخلف أكثركم عن المجيء إلى الكنيسة، كوني لم أرى منكم هنا في البيعة إلا القليل، ليت شعري ما هو السبب الذي أعاقهم عن الحضور؟! ونحن الآن نحتفل بتذكار الشهداء ولم يشترك معنا سوى القليل منكم، ألعل بعد المسافة جعلتهم يتكاسلون ويتهاونون! لا أعتقد ذلك هو المانع بل عدم وجود محبة الله وقديسيه في داخل قلوبهم هذا هو المانع. فالنشيط والمستيقظ الضمير لا يمكن أن يعيقه شيء من العوائق، أما الكسلان المتواني فيمكن أن يعيقه أي شيء.

تأمل الشهداء سفكوا دماءهم لأجل الحق الذي هو السيد المسيح، وأنت لا تشتهي أن تتعب ذاتك في مشي مسافة قصيرة، أولئك قطعت رؤوسهم وأنت لا تريد أن تحتمل اليسير للذهاب

(١) من المقالة الثالثة - مخطوطة ١٩٨ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان

العامر

إلى بيت الرب، السيد المسيح نفسه مات لأجلك وأنت من أجله متكاسل. ها اليوم تذاكر الشهداء وأنت متكاسل متهاون، وقد كان ينبغي عليك أن تحضر إلى هذا الاحتفال الروحي لتتضر كيف تمجد الله في قديسيه وكيف غلب وانتصر الشهداء وانهزم الشيطان أمامهم وصارت الكنيسة مكللة.

هل يحجر الخاطيء عن الكنيسة؟!

قد يجهل الإنسان ويقول أنا خاطيء لست قادراً على المجيء إلى الكنيسة، فإن كنت أيها الإنسان خاطئاً فتعال إلى الكنيسة لكي تتبرر، فمن تراه من الناس صالحاً وبريئاً من الخطأ، ألا تعلم أن أولئك الذين هم أصحاب الرتب الكنائسية، الذين يخدمون المذبح المقدس ليسو هم أبراراً بالكلية، فإنهم بشر ذوو أجساد ترابية، وحتى نحن أنفسنا الجالسون على كرسي رئاسة الكهنوت ونعظكم دائماً لنا أخطاؤنا ولكن لا نياس من محبة الله للبشر ولا نحب أن نحيا في الخطية، لهذا جعل الله الكهنة من البشر حتى يكونوا تحت أعراض الآلام ليشفقوا على غيرهم في الآلام التي تصيبهم.

كم هو من الجهل الفظيع متى دعانا أحد إلى ميدان الغناء والرقص أو إلى باقي فنون اللعب والطرب تبادر إليها جرياً بكل حرص واجتهاد ونفرح ونطير إليها كما لو كانت لنا أجنحة، وليس هذا فقط بل ونحسبها أيضاً منة (هبة وعطية) عظيمة وكرامة زائدة من الذي دعانا وهناك نقيم فهارنا أجمع بصبر جميل ونستمع إلى هذه الأشياء ونشاهدها بكل يقظة، أما إذا وعظنا الله عن طريق السنة أنبيائه ورسله فننسى ونتشاءب وتبرد قلوبنا وتدوخ رؤوسنا وتظلم أذهاننا. أما في ميادين اللعب لا يحدث شيء من هذا. ومن الغرابة أيضاً إذا حدث مطر أو زوابع فكل الذاهبين إلى ميادين اللعب يتحملون البرد والحر وتعب الطريق ولا يعيقهم عنها أي مشقة، أما إذا أرادوا الحضور إلى الكنيسة فكل المذكور هذا بأسره يصير لهم موانع.

وماذا أيضاً إن سألت أحداً من مثل هؤلاء سؤالاً روحياً يا ترى من يكون إشعياء؟ أو من هو عوبديا؟ فلا يستطيع أن يرد جواباً، أما إذا سألته سؤالاً عن هذه الفنون واللعب يجيبك بغاية من الدقة والفهم ويخبرك بمعرفة صحيحة ناتجة عن خبرة عميقة عن هذه الأشياء.

يا أخي الحبيب قل لي مَنْ هو الإنسان الروحي الذي يسمع هذه الأمور ويستطيع أن يحتمل ذكرها؟! لقد وعظتكم مراراً كثيرة منبهاً إياكم على أن لا تمضوا إلى أماكن اللهو واللعب ووبخت البعض على هذا، وإن كنت لا تعمل بكلامي ولا تسمعه، فلا تستح بل تعال واسمع مرة أخرى، ربما تقول في نفسك: " لقد أتيت وسمعت وما حفظت شيئاً، فكيف يمكنني الحضور وأنا لا أفعل بما أسمعه؟ " فأجيبك إن كنت بالحقيقة خجلاناً وليس هذا كلاماً ظاهرياً في الخارج فهذا احمرار وجهك يظهر حقيقة خجلك، واعلم سيظل هذا الفعل داخل قلبك إن لم يوبخك أحد بالخوف وإن كان الحياء داخلك فتعليمي ينقيك. فأنت بالحقيقة محتاج إلى المواظبة للكنيسة لتسمع وتتنقى، فإن كنت اليوم مثلاً تستعمل شيئاً من الأدوية ولم تُشفَ بعد ألم تستخدم الدواء يوماً بعد يوم حتى تُشفى. وإذا عزم الخطاب على قطع شجرة ولم تُقطع بضربة واحدة ألا يثني عليها الضرب ولو عشرات المرات حتى يقطعها، فيجب عليك أنت أن تفعل هكذا - تواظب على الكنيسة حتى تشفى - ولست أقول هذا

لكي أجعلكم متكاسلين ومتهاونين بل لأصيركم أشداء ونشطاء وراغبين في دخول الكنيسة واستحقاق سماع الكتب المقدسة.

هل من المنفعة لنا الخروج من الكنيسة قبل ختام الصلاة؟!

عندما تدخل كنيسة الله لسماع الأقوال الإلهية والصلاة، فاحرص على أن لا تخرج قبل أن يختتم الكاهن الصلاة، لأنك إن خرجت قبل ختام الصلاة ستدان من الله كعبد مارق، فالنهار كله تصرفه في الاهتمامات الجسدية، أما في الأمور الروحية لا تستطيع أن تصبر ولو ساعة فقط. هل يُعقل أن في أماكن اللهو واللعب لا تبرح عنها إلى أن يتم اللعب واللهو فيها، لكن تخرج من الكنيسة بسهولة قبل انتهاء القداس. يا أخي خف فإن الذي يتهاون في الأسرار الإلهية، يُهان من السيد المسيح نفسه. فإن كنت واقفاً في حضرة السلطان فلا تجسر أن تبتسم، ولكن إن وقفت في أمام السيد المسيح ملك الكل يسهل عليك أن تتكلم في هيكل الله وتضحك بدون حشمة، ولا تستطيع أن تقف بخوف ورعدة كما لو كنت أمام سلطان أرضي. بهذا تلزم الله بأن يغضب ويحسب لك خطية.

احذر أن تُخطيء في كنيسة الله!

أيها الإنسان ماذا تفعل أثناء وقوفك في كنيسة الله؟! أتأمل جمال الأجساد، ألا تخف وترتعد لكونك تسيء إلى الله في كنيسته المقدسة، وتحتقر أيضاً هيكله الطاهر لأنك تحولته إلى مكان اللهو واللعب، وأيضاً تجعله أقل شأنًا من الأسواق، ففي السوق تخاف أن تظهر فيه ذاتك أنك تتأمل جمال أحد وتستحي من ذلك، أما هيكل الله الذي يحذرك من أن تخطيء وان تتعدى الناموس، ففيه تجعل قلبك مكاناً للشيطان، وتنحرف في النظر بعينيك، فكان الأفضل لك أن تكون مكفوف النظر من أن تنظر نظراً رديئاً مخالفاً للناموس، ليتك تفكر بعقل متزن أيها الإنسان أين أنت الآن قائم؟! اعلم أنك قائم بجوار القدسات الإلهية الموقرة.

تقف حسناً:

اعلم تماماً يا أخي أنك تقف في هيكل الله مع الشاروبيم والسارافيم مع الملائكة ورؤساء الملائكة وجميع القوات السمائية، ففي هذا تأمل مع من أنت مشترك في الصلاة والتسبيح، وهذا يكفيك للانتباه وإدراك المكان الذي أنت واقف فيه، تأمل أنك

أنت اللابس جسماً تريباً استحققت أن تشترك مع الملائكة
القديسين ومع باقي القوات السماوية أن تسبح وترتل للسيد
المسيح له المجد، لأجل هذا لا تصير في التسيح والترتيل وقت
القداس الإلهي كالمخلع بل إنساناً نشيطاً ولا يكن لك فكراً عالمياً
البتة، ففي وقت القداس الإلهي ارفع عقلك كله إلى السماء
كأنك واقف أمام كرسي المجد في العظمة، طائر مع السارافيم
تقدم التسيح للكلية القداسة، لهذا يصرخ الشماس في وقت
القداس الإلهي قائلاً: " لنقف حسناً، لنقف بتقوى، نقف
باتصال، نقف بسلام، نقف بخوف الله ورعدة وخشوع "،
ويوصيكم الكاهن أيضاً أن ترفعوا أفكاركم وقلوبكم إلى العلاء،
لأن يا إخوتي ليس أنتم البشر فقط تسبحون في هذا الوقت
الإلهي، بل أيضاً الملائكة يسبحون ويتضرعون من أجلنا، لهذا
ينبغي لكل واحد منا يتفكر بعقله متروياً لأي خطية أو لأي
ذنب يتضرع أمام الله من أجل أن يغفر له، أو يتضرع أيضاً إلى
الله أي فضيلة يريد أن يكتسبها أو أي فضيلة يريد أن يزداد فيها،
فكل واحد يفحص ذاته ويقدم التسيح والشكر والتضرعات
والطلبات لله.

لا يليق الكلام داخل كنيسة الله :

ماذا نفعل لو سألنا الله الخالق عن سبب الكلام في الكنيسة؟! يا ترى ماذا نعطي جواباً؟ وكيف نجاب؟ كثيراً نتكلم مع بعضنا بعضاً دون فائدة وأيضاً نتهمس باطلاً في الكنيسة، فلا تظن يا أخي في عقلك أن هذه خطية صغيرة لا نحاسب عليها، فإن أردت أن تعرف مقدار هذه الخطية وعظم التهانون الحاصل بسببها، فتفهم ذلك من أهل العالم، فيظهر قبح فعلك، قل لي لو اتفق لك الحضور في مجلس أحد الوزراء، وأراد أحد أصدقائك أن ينفرد بك في الجلسة ليخاطبك بأعذب الألفاظ وأحسنها وبغاية من الأدب والاحتشام ويظهر لك نصائح مفيدة لحياتك ويخبرك عن الأحداث السالفة وما جرى فيها فهل تستطيع أن تتجاسر وتلتفت إليه لتسمعه أو تتحدث معه تاركاً خطاب ذلك الوزير والانشغال عنه، أم أنك تعرض عن استماع كلامه مظهراً أنك في مجلس الوزراء، ولو فعلت مثل هذا فكم يكون قباحة فعلك؟! وكم يكون عقاباً يلحق بك؟! فمن هنا إذاً تفهم كم يكون تهاونك وازدراؤك إذا فعلت هذا في مجلس الله الخالق؟! يا للعجب من كون أحد أصحاب الرتب العالية إن ازدرى به

شخص ما وتهاون بربتته، فيجري عليه الحكم بالعذاب الشديد وربما يأمر بقطع رأسه، فكم بالأحرى أن نعتبر الباري ونخافه ونحترم مجلسه ولا نطمع في رحمته وطول أناته أكثر من اللازم، ففي كل مرة نتكلم فيها في الكنيسة فهين الله ولأنه هو حلِيم ورحيم وطويل الأناة ويريد خلاصنا فلا يعجل علينا بالحكم والعقاب فإنه لا يشاء هلاكنا. وأيضاً من تهاونكم في الحضرة الإلهية أنكم لا تستعطفون الله أن يغفر لكم خطاياكم ولا تصلون من أجل بعضكم ليغفر لكم الرب بينما إذا رأيتم أحداً ذا سلطان غاضباً على أحدكم فتبادرون جميعكم الرجال والنساء مع الأولاد وتستعطفونه بالبكاء والدموع والتوسلات الخشوعية لتهدئوا غضبه وتخلصوا الذي لكم من العقاب الذي سيحل عليه، أما الملك السماوي صاحب كل السلطان تتهاون بمهابته وكرامته وندنس بيعته ولا نهوى أن نستعطفه ولا نتوسل إليه بخشوع ليغفر خطايانا وسيئاتنا.

أبواب الجحيم لن تقوى عليها :

هل ترى أن هناك شيئاً أقوى وأمنع من بيعة الله؟! لا تجيبني قائلاً: " نعم البناء شامخ وحصين ومنيع والأبواب من حديد "

اعلم أن هذه كلها بطول الزمن تفتى جميعها، أما كنيسة الله ثابتة إلى الانقضاء بغير فناء ولا هرم ولا يقدر الأعداء الغير منظورين أن يمسوها بشيء من الضرر، ولسنا نتكلم عنها بطريقة الافتخار، وإنما هي بذاتها تشهد بذلك، والزمن يشهد بذلك فكم من الملوك حاربوا كنيسة المسيح، أما هم فهلكوا وبادوا بأسرهم وكنيسة الله ثبتت عالية إلى السماء، هذه الرفعة والكرامة حدثت للكنيسة لأن إذا حاربوها فهي تكون غالبية ومنتصرة، وإذا اضطهدت فهي تتضاعف وتكثر، ومتى أهينت وشُقت فهي تنتعش وتبقى مشرقة لامعة ويُثبت ذلك ما جرى علينا في ذلك اليوم حينما كنا ذاهبين إلى بلاط الملك كيف رُفعت علينا الأسلحة وكيف كان غضب الجنود أحر من لهيب النار ولكن بنعمة الله كل هذا لم يرجعنا، لأن ماذا يصنعون بنا، يقتلون الجسد وتموت، والموت لنا ليس أمر رديء كما هو لأهل العالم لأن به نصل إلى ميناء الخلاص بسرعة ماذا يفعلون أكثر من ذلك؟! لا شيء بالطبع، وإن لم نمت يأخذون المتاع، فنحن دخلنا العالم بلا شيء وعراة وسوف نمضي منه هكذا، يحكمون علينا بالنفي، فللرب الأرض وملؤها، يتهموننا باطلاً، نفرح

ونبتهج لأن أجرنا عظيم في السماوات، الشيء الوحيد الذي يهيننا هو الخطية وحدها التي تجعلنا نقع تحت حكم الدينونة، فكيف نتهاون بكنيسة الله!!؟

المواظبة على كنيسة الله:

فيما كنت مساقاً من الأعداء كنت أشاهد الذين يتقولون عليّ في الشوارع والأسواق، فقد كنت أشتهي أن أبصر إلى أين يذهبون وفي أي مكان يتواجدون أولئك الذين يتركون صلاة القديس الإلهي ويتهاونون بالذهاب إلى الكنيسة، فعرفت أنهم يجلسون في الشوارع والأسواق ويتكلمون في الهموم العالمية وهم خالون من نعمة الله.

يا أخي أجبني هل يمكن للعبد أن يعمل الخدمة التي تخص شخصه قبل أن يشرع في خدمة سيده ويتممها؟! بالطبع هذا غير ممكن، وهذا الشيء غير لائق وقبيح إن لم يفعل خدمة سيده ويوقره ويخضع له طائعاً بكل احترام وإكرام، فإن كان هذا هو فعلنا مع البشر المخلوقين فكم نحن ملزمون أن نظهر هذه الأفعال لسيدنا الحقيقي أعني يسوع المسيح الذي ليس هو سيدنا وخالقنا نحن البشر فقط بل أيضاً سيد وخالق القوات السماوية.

تأملوا يا إخوتي الأجساد التي لا تدخل الحمام لتغتسل وتنظف فهي تبقى ممتلئة بالأوساخ والأقذار الكثيفة، كذلك أيضاً النفس التي لا تسمع التعليم الروحاني لم تنزل مُفعمة من نجاسات الخطايا وأدناسها. وكما أن الأرض التي لا تُفلح تصير قحلة وتمتليء أشواكاً كذلك أيضاً النفس التي لا تسمع أقوال الله فأها تنبت شوكاً وحسكاً. أعني أن تتولد في قلوبنا كافة أنواع الخطايا، فإن كنا نحن الذين كل يوم نتأمل القراءات ونسمع لأقوال الآباء ونواظب على الصلوات وبالجهد المضني يمكن لنا أن نهرب من آلامنا النفسانية وبالتعب الشديد نستطيع أن نروض أخلاقنا ونهديء غضبنا وبالحرص الجزيل نقدر أن نهرب من الوحوش العديمة الحياء أعني الأفكار الشريرة التي تحدث لنا من الشياطين، فكم من جهاد يحتاجه أولئك الذين يتهاونون بالمضي إلى الكنيسة ولا يقبلون لسماع التعاليم الروحية، فكما أن الذي يخرج من الميناء يتوه وأيضاً الذي يفقد بصره تكثر عثراته ويسقط، كذلك أيضاً الذي يكسل عن كنيسة الله وينسى خوف الله فإن الهم والغم والحزن يعلوه دائماً. فإن كنا مع الله فإنه يطرد بعيداً عنا جميع الأحزان، وإن ابتعدنا عنه تكثر خطايانا

ويشمّلنا حزن عظيم بقدر أن تتمزق منه قلوبنا وتتسلط علينا الشياطين والناس ونكون مضطهدين من الجميع، والله يسمع بذلك لتنشيط الكسالى ليعودوا إلى المكانة التي سقطوا منها كما يقول الكتاب الإلهي: "توبيخات الأدب طريق الحياة" (أم ٦: ٢٣)، فكون الله يتخلى عن الخاطيء، فذلك شكل من أشكال العناية الإلهية، لأنه إذا أراد أن يعتني بإنسان ويهتم به، فيعيد نعمته قليلاً ليشعر بقوة الله ويتعد عن كسله وينشط ويذهب إلى كنيسة الله باستمرار وبمواظبة.

كنت أتمنى أن أرى علانية من منكم مضى إلى ساحات اللعب الخارجة عن الشريعة حتى كنت أطرده الآن خارجاً عن باب الكنيسة لا ليلبث خارجاً بل لكي يقوم ويرجع صحيحاً مثلما الآباء حينما يؤدّبون أولادهم ويطرحوهم خارج المنزل ويمنعون عنهم الخبز وليس ذلك لكي يفوهم بالكلية بل لكي يشعروا بأخطائهم ويصيروا أفضل وأحسن مما كانوا عليه قبلاً وحينئذ يعودون بالمجد والكرامة إلى الميراث الأبوي، كذلك أيضاً الرعاة يفرزون الأغنام المعديّة عن بقية الأغنام السليمة لئلا تعديها بنفس المرض وعندما يتم شفاؤها يعودون بها إلى الأغنام

الصحيحة المتعافية، لهذا السبب نريد نحن أن نعلم من هم الذين على هذه الحالة لكي نؤدبهم ونوجههم، لا لكي نبعدهم عن كنيسة المسيح، بل لنشفيهم ونرجعهم أصحاب معافين إلى كنيسة الله ... قصدي ليس هو طردكم بل إمامكم وجمعكم وحاشا أن أمنعكم من الكنيسة بل أستدعيكم وأجذبكم إليها لكن لكوني ملزم بأن أعظكم فاستعمل معكم بعض التوبيخ لأن كما أن النار تذيب الشمع كذلك الخوف من العقوبات يلين قلوب الخطاة ويصفي عقولهم وكما أن الطبيب الماهر يعطي الأدوية لأصحاب أمراض المعدة الضعيفة لتخرج منها العفونات وتنقى وتنشط لاشتهاة تناول الطعام هكذا نعطي التعاليم الروحية لتنقية العقل والقلب من الأفكار الرديئة وإزالة ثقل الخطية حينئذ يأتون إلى البيعة ويتناولون جسد الرب ودمه بفرح وسرور، لهذا قال الرسول: " أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَأَخْضَعُوا، لِأَنَّهُمْ يَسَهَّرُونَ لَأَجْلِ نَفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا " (عب ١٣: ١٧).

الفصل الخامس الخشوع والمغفرة يليقان بكديسة الله

(للقرس يوحنا وهبي القم) (١)

الاسم لا يخلص:

الذين يذرون بذار زروعهم لا ينتفعون منه شيئاً متى وقع على قارة الطريق هكذا نحن أيضاً لا نستفيد شيئاً بلقبنا " مسيحيون " ونحن لا نفعل أفعالاً توافق وتناسب تسميتنا بهذا الاسم العظيم ويشهد بذلك يعقوب أخو الرب قائلاً: " الإِيمَانُ بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ " (٢). فالضرورة إذاً تدعونا في كل مكان وكل زمان أن نلازم عمل الفضيلة لأن متى تعرينا منها فلا ننتفع شيئاً بتسميتنا مسيحيين، فلا نعجب من ذلك يا إخوتي لأنه أي ربح يجده الجندي المتجند وهو لم يكن أستاذاً بمصارعة الأبطال وخبيراً بأبواب الحرب والكفاح وأهلاً ليحامي عن حوزة الملك المستظل تحت كنفه، وإن أهمل فكم من عقاب مزمع أن يعانيه لكونه لم يقيم بمقام المجاهدين مع الملك الذي يعيش من فائض نعمته ورضى لنفسه الإحجام عن الجهاد والمثابرة.

(١) من المقالة التاسعة عشر - مخطوطة ١٩٨ ميامر وعظية بمكتبة دير

السريان العامر

(٢) يع ٢: ٢٠

المبادرة إلى الصلوات الكنسية بورع وخشوع:

يا إخوتي لكي ننتفع بأننا مسيحيون ونخلص بهذا الاسم المبارك يجب علينا أن نبادر إلى الصلوات الطقسية، ونواظب على الحضور في القداسات الإلهية والاجتماعات الروحية، ولا نلغ بكلمات باطلة أثناء الصلوات الطاهرة في ساعة القداس الطاهر أمام المائدة السرية، حينما قال الكاهن: " ارفعوا قلوبكم " فما وعدته قائلاً: " قلوبنا مع عقولنا هي نحو الرب شاخصة " أما تخاف مرتعداً إذا وجدتَ كاذباً في هذه الساعة الرهيبة ما كفاك أن الأسبوع مائة وثمانية وستون ساعة، وساعة واحدة اختارها الله الخالق لتكون معه وأنت تطمع في أن تصرفها أيضاً في الأشياء الباطلة والضحك والكلام الدنيوي، فقل لي يا أخي بأية دالة وبأي استحقاق تقترب إلى الأسرار الإلهية، فلو كنت حاملاً بيدك زبلاً، هل كنت تجسر على أن تلمس ثوب الملك الأرضي أو تقترب منه؟ طبعاً أبداً قط.

لا بد أن تتيقن أن ما تتناوله هو الجسد الإلهي وكأنك تقترب بشفتيك نحو الجنب الطاهر الإلهي وتتناول منه الدم المخلص الزكي الكريم، فلنداوم يا إخوة على الصلوات الكنسية بورع وتقوى وخشوع ولا نتحدث فيها بما هو باطل، بل نكون ماثلين

بخوف ورعدة، منكسين عيوننا إلى أسفل، ومرتفعين بنفوسنا إلى فوق، ونردد الزفرات من قلب خاشع ونصرخ ولكن بغير صوت، أنظروا المحققين بالملك الأرضي - الذي هو كائن زميني ملموس مضمحل - كيف أنهم يمثلون أمامه بوقار وسكينة وهيبة وخشوع، فمن هنا اتخذ لك مثالاً ونموذجاً حسناً لتقتدي به في وقوفك أمام الله، ها أنا أتضرع إليكم متوسلاً أن تقفوا لدى الله هكذا ورعين كوقوفكم تجاه منبر الملك الأرضي بل وأفضل من الملك الأرضي لأن الله هو ملك السماوات والأرض.

المغفرة لمن أخطأ إليك:

متى دخلتم الكنيسة فلتكونوا على ما يرضي الله، أي أن لا نضم حقداً داخل قلوبنا إذ ما تلونا صلاتنا، فكيف نُكذب أنفسنا ونقول أمام الله: " اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا " فهذا النص مخيف لمن يضم الحقد والضعينة لأنه يقول لله: " أيها السيد الإله إن كنت تركت لغيري أخطاءه فأترك لي أخطائي، وإن غفرت للآخرين فاغفر لي وإن أمسكت فامسك "، يا أخي اعلم جيداً إن لم تصفح عن القريب، فالله أيضاً لا يصفح عنك لأن بالكيل الذي كلت به يكل لك أيضاً، فاسرعوا لتنفيذ الوصية فهذا

الزمان للتوبة أما الزمان الآتي للدينونة، هذا الزمان للجهاد والنسك
أما ذاك للأكالييل والتهيجان، هذا للتعب والكد أما ذاك للراحة
والطمأنينة، فأسألکم يا إخواني أن تستيقظوا وأناشدکم بأن تصغوا
إلى كلماتي (عظاتي) بشوق وارتياح كفانا الزمان الذي عشناه
للجسد، فلنعش من الآن فيما يخص الروح، أضعنا زماننا بالتواني
فلنحرص عليه الآن بالتوبة، فلماذا تتكبرين أيتها الأرض؟! ولماذا
ترتفع أيها الرماد، فعلى من تشمخ بعقلك يا إنسان... اذهب إلى
المقابر وهناك تعرف طبيعة جسدنا كيف هي ممزقة وكيف هي
جيف ورمم لا قيمة لها.... فلنرجع عن طرقنا الضالة المهلكة نحن
الذين أشرنا بالدم الثمين ونزل إلينا رب البرية وعاش على الأرض
معنا ولم يكن له موضع أين يسند رأسه، ولطم من عبيده، الذي
تسبحه الشاروييم والسارافيم تُقل عليه من عبيده، وأنت أيضاً
تتهاون في بيته وتلبث محتقراً لمن ذاق خلاً ومرراً لأجلك وطعن بحربة
ووضع في قبر لخلاصك.... فلنعش إذاً للرب ما دام لنا زمان توبة
ولنعمل الصالحات أمامه لنتمتع بهذه الحياة الوقتية ونفوز بالخيرات
الأبدية بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

الفصل السادس

أهمية الخشوع

أولاً: خشوع النفس في البيعة المقدسة

(من أقوال القديس يعقوب السروجي) (١)

تأملوا في السماء وانظروا من الذي خلق هذه كلها،
استيقظوا كل يوم ومجدوا الله الخالق، انصتوا إلى أقوال الكتاب
وتفهموا من هو المتكلم بهذه الألفاظ واربحوا من ألفاظه
الإلهية...، فهذا الرب بكتابه المقدس يتكلم للذي يسمع له
ويجذب إليه البشر ليحييهم ويرفعهم.... لكن سدت محبة العالم
آذاننا ولأقواله أصبحنا غير سامعين، يجلس الناس أمام الهيكل
المقدس الذي للصلوات ويفتحون أفواههم ليتكلموا بالزيادات،
الأنبياء يصرخون ويعلمون الأرض الحسنات وأولئك يتكلمون
بالأخبار الباطلة الغير حسنة، هذا هو الشيطان بعينه يعمي عقل
البشر ويتحيل بكل الحيل ليقتلهم بالتمرد، فيحثهم على أن
يشكوا آلامهم للناس بدلاً من صلواتهم، ويتفوهون بالأخبار
الباطلة في بيعة الله المقدسة.

(١) مخطوطة ٢٠٦ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر

أيها الشقي أذكر آلامك لله في الصلاة، وأظهر ذاتك للطبيب الحقيقي الذي يضمّد جرحك ولا يفحصه، الذي يعطي الدواء ولا يعير ... فلماذا تبطل صلاتك؟ ولماذا تبطل تعزيتك من سماع القراءات النبوية؟ كيف يتكلم ويتشاور كل واحد مع صاحبه وإلى القراءات المقدسة غير صاغيين؟! قل لي يا صاحب لو بدأت تتكلم وأتى آخر أبطل كلمتك وطرح قولك، فماذا تقول لهذا الذي حقرك ومنع كلماتك؟! فيمكن لك أن تلومه أو تلطمه، افهم هذا المثال الذي قلته الآن لك، فالمتكلم والناطق بالقراءات المقدسة ليس هو صاحبك بل ذاك الذي صوته يحرك الأرض هو المتكلم والناطق على الإنبل، فمن هو ذلك الإنسان الذي لا يخاف ويتجرأ على أن يتكلم أو يتشاور مع صاحبه في الكنيسة. اعلم أن السماء والأرض والصخور والجبال والتلال عندما تسمع صوت الرب إلهك يتكلم تتحرك وتهتز وترتعد من مخافة الرب إلهك، هذا ما تفعله الطبيعة، أما نحن فنكون باردين عندما يتكلم الرب إلهنا، لأن اهتمام العالم وأباطيله الكاذبة سبت قلوبنا وأبعدتنا من الأرياح الروحية، وحب هذه المشغوليات منعنا من ذلك الحب الذي تغني وتسعد النفس منه، الشهوات حجبت النور عن أنفسنا حتى لا تضيء ولا تسمع

صوت الرب الناطق في الأنبياء، لقد ظلّمت وأحترقت كلمة الحياة ولم تُسمع، لقد ملّ كل واحد من سماع القراءات النبوية وكثيرون احتقروها هذه التي تخبرنا عن عظمة الرب كل يوم ... فاعلم أنه لولا أن سقطت النفس وغرقت ولم تعرف الواجب عليها ما كان هناك حاجة إلى كتاب يتكلم معها. فالنفس سقطت من المجد الذي كانت فيه وطرحته التعليم فجعل الله لها الكتاب سفيراً لييكثها وليجذبها ويقدمها ويردها للطريق الذي خرجت عنه بعدما مالت وبعدت عنه ... وصارت كل يوم تقتني قروحات وجراحات وتكتئب وتشجب وتزرع كل يوم زروع الشرور ولم تحزن قط على بعدها عن الحسنات ولا تحزن على الإثم الذي أفسد حرقتها. فيا سيدي الرب إن لم ترد نفسي إليك ردها أنت لتكون لك، فالخروف الضال الراعي حمله حيث لا يشاء، وليست حرته دعت الراعي ليأتي ويحمله، فحينما لا تطلب نفسي أن ترجع إليك، أنت يا ربي أرجعها لك لتفعل جميع وصاياك والحسنات التي أمرت بها. حررتنا يا سيدي انعدمت، فأين هي عظم مراحمك؟ كم أنت متحنن ورحيم على الخطاة، فإنك صالح وتشاء أن تحيي كل أحد لك، ولك المجد الدائم إلى أبد الأبدين آمين.

ثانياً: الخشوع في الصلاة

(من أتوكال القديس مار أفرام السرياني) (١)

استيقنوا يا إخوتي أن ليس على الأرض ألد حلاوة من الفرح والتخشع في تلك الساعة التي يصلي فيها الإنسان ويتضرع للإله، فيجلس الإله في قلبه دائماً، أي أحد منكم اختبر هذا أو ذرف دموعاً حينما صلى، شعر بارتياح وشوق ... لأنه يناجي الإله نفسه ويستضيء بالمسيح، ويتقدس دائماً بالروح القدس، يا إخوتي عجباً عظيماً أن إنسان ترابي يتكلم مع الإله الذي لا يُرى. مغبوط الرجل الذي له وقت خشوع أمام الله. فالخشوع يا إخوتي هو شفاء النفس، التخشع يا إخوتي يقود إلى مغفرة الخطايا، التخشع يا إخوتي يجذب إليه الروح القدس، بالخشوع يا إخوتي يسكن فينا الابن الوحيد إذا صبونا إليه، وأني غير قادر يا إخوتي. أن أصف لكم اقتدار الدموع. حنة بالدموع أخذت من الله صموئيل النبي بفرح وفخر لقلبها، والمرأة الخاطئة في بيت سمعان نالت من السيد المسيح غفران خطاياها حينما بكت وبلت قدميه المقدستين بالدموع. عظيمة هي قوة الدموع يا

(١) مخطوطة ٢٠٠ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر

إخوتي وتقتدر كثيراً التي هي من أجل الله، فهي تجلو دائماً
النفس من الخطايا وتنظفها من الآثام، فالعبرات التي من أجل الله
تمنح دالة لدى الإله القدوس، والأفكار الشريرة لا تقدر قط أن
تقترب قط من النفس الحاوية التخشع، فماذا ترى أن يكون
مأثوراً أكثر من تطويب النفس إذا ما حوت الإله؟!

النفس التي تصلي وتبتهل إليه أيها الإخوة إذا صبت إليه
تبصره دائماً في صلاحها فتدرس فيه الليل والنهار. لذلك التخشع
هو كثر لا يُسَلَب، النفس الحاوية التخشع تفرح فرحاً لا ينطق
به. وأقول لكم ليس تخشع في يوم واحد فقط، وإنما أعني
الخشوع الصائر دائماً باطنياً في النفس ليلاً ونهاراً. فالخشوع في
النفس يا إخوتي هو كعين صافية تسقي أشجارها المثمرة فيها،
وقلت أشجاراً مثمرة لأعني التقويمات والفضائل التي تستقي
دائماً بالدموع والزرقات فتثمر ثمراً جيدة نضارته داخل نفسك
ونافعا للأبد، فلتكن أشجارك مختارة وبهية دائماً. فأسق أيها الأخ
غروسك بلا انقطاع مبتهلاً بالدموع، حتى إذا سقيتها بذلك،
تنمو وتثمر يوماً فيوماً، ولا تصر متشبهاً بي أنا المسترخي
والخاطئ الذي أعظ كل يوم وما أعمل البتة، فلا تصر هكذا

متوانياً بنيتك، مسترخياً بإرادتك فلا يصبح لك خشوع ولا صلاة نقية، فإنني أعرف نفسي كل حين أنني خاطئ ودائماً خائف من الدينونة المنتظرة، وليس لي عذر عن جرائمى لذلك أطلب إليكم يا إخوتي القديسون الخائفون من الله والعاملون دائماً بالأفعال المرضية أمامه أن تتشفعوا أمامه عني أنا الحقير، لتوافي إلى نعمته بصلواتكم وتخلص نفسي في تلك الساعة المخوفة والمرعبة عند مجيء السيد المسيح ليكافئ كل واحد حسب أعماله، والمجد للإله وحده القدوس الذي لا يموت الصالح والمرهوب، الطاهر والمتحنن الغالب. ولساني الحقير بنعمته يترنم بألفاظ العدل والمحبة والتخشع لبناء النفس وإنارة القلب ومنفعة الذهن حتى تتجلى النفس بتلاوة هذه الأقوال والعمل بها وتنجذب نحو الحياة الدائمة بربنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى أبد الآباد وإلى دهر الدهور آمين.

الباب الثاني

مهابة الأسرار المقدسة

١ - القداس الإلهي وفوائده

٢ - تناول من الأسرار ومهابتها

الفصل الأول

القداس الإلهي وفوائده الجزيلة (١)

قال إشعيا النبي: " هَذَا الشَّعْبُ قَدْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ بِقَمِهِ
وَأَكْرَمَنِي بِشَفْتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَأَبْعَدَهُ عَنِّي " (٢) هذا القول قد
ينطبق على الكثيرين منا نحن المسيحيين الذين يحضرون القداس
الإلهي حضوراً جسدياً فقط بينما عقولهم شاردة في أمور الدنيا
وأشغالها، فلأجل ذلك أنا أئين وأشرح لكم موضحاً ما هو
القداس الإلهي؟ وما هي الخيرات العظيمة والفوائد الجزيلة التي
يكتسبها من يكون حاضراً فيه حضوراً عقلياً بأمانة خالصة.

ما هو القداس الإلهي؟

القداس هو تذكار وبيان آلام سيدنا يسوع المسيح مخلصنا
وسفك دمه الكريم على عود الصليب لأجل خطايانا، والحال أن
كل ما يقدر الكاهن يبين ويذكر آلام المسيح وصلبه وقيامته
ومجيئه الثاني، وقد تنبأ على القداس الإلهي ملاحى النبي حينما
قال: " لست أسر بكم يقول الرب القوي وقربان لا أقبل منكم

(١) من مخطوطة ٢١٩ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر

(٢) إش ٢٩: ١٣

لأنه من مشارق الشمس إلى مغاربها اسمي عظيم في الشعوب
وفي كل مكان يصعدوا إلىً بخوراً ويقربوا لاسمي القرايين الزكية
الطاهرة لأن اسمي عظيم في الشعوب قال الرب القوي " (١) فما
هي القرايين الزكية الطاهرة إلا جسد ودم المسيح الذي يقدم في
كل أقطار المسكونة في القداس الإلهي، فقال أن تلك القرايين
زكية طاهرة لأنها تحوي جسد المسيح ودمه اللذين هما أصل
الطهارة ولهما قوة على تطهير المؤمنين من أوساخ خطاياهم وقد
أخبرنا عن القداس الإلهي داود النبي قائلاً: " أقسم الرب ولن يندم
أنك أنت هو الكاهن إلى الأبد على طقس ملشيباداق " (٢) فما
هو طقس ملشيباداق؟ اعلّموا أنه كان قديماً القرايين على
نوعين الواحد للمشيباداق والآخر لهارون، فلمشيباداق ذكر
في التوراة أن إبراهيم الخليل بعد ما ظفر بالملوك الذين أسروا
لوط ابن أخيه، ففي رجوعه إلى بلاده، انطلق ملشيباداق ملك
سالميم للقاءه وأخرج خبزاً وخمراً وقربهما لله شكراً لأجل نصرة
إبراهيم على أعدائه، أما قربان هارون إنما كان في ذبح الذبائح

(١) ملا ١: ١٠، ١١

(٢) مز ١١٠: ٤

البهيمة وسفك دمائهم وحريقهم عن خطايا الشعب، فهذه القرايين المذكورة كانت رمزاً على سيدنا يسوع المسيح وذبائح هارون كانت تشير إلى آلامه وصلبه عن خطايا العالم وأما قربان ملشيباداق فكان دليل واضح عن القداس الإلهي الذي نستعمله في كل حين لأن مثلما قدم ملشيباداق لله تعالى خبزاً وخبزاً هكذا الكهنة في القداس يقدمون جسد ودم السيد المسيح محجوباً تحت أشكال الخبز والخمر، فبقدر أن السيد المسيح يفوق الخلائق كلها بأسرها بقدر ذلك يقال عن القداس أنه أشرف وأعظم ومقبول عند الله من قرايين السنة العتيقة التي كانت على طقس هارون حسبما قال بولس الرسول: "لنا مذبوح خاص لا يحل لأولئك الذين يخدمون في قبة الزمان أن يأكلوا منه" (١)

يريد بذلك على أن اليهود كانوا يقربون لله بهائم من غنم ويقر وتيوس أما نحن المؤمنين بالسيد المسيح فلنا قربان غير ذلك، لنا جسد ودم سيدنا يسوع المسيح المرفوع عن خطايا العالم، فنشكر الله الذي أهلنا وأوهبنا هذه العطايا الجزيلة ونقول مع

(١) عب ١٣: ١٠

داود النبي: " ما أعظم أعمالك يارب وأعظم أفكارك جداً " (١)
إذ جعلت ابنك الوحيد لنا قرباناً وبذلته عنا، وإنك تركت
وهبت هذه العطية والسلطة للكهنة ليصعدوا جسديك ودمك في
القداس المقدس قرباناً مقبولاً. فكلما حضرتم القداس يا إخوة
تذكروا آلامه وصلبه وقيامته المقدسة وإتيانه الثاني ليدين الأحياء
والأموات، وإذا رأيتم الكاهن لابساً البدلة الكهنوتية واقفاً في
الهيكل كأنكم تشاهدون سيدنا المسيح، وكلما أتيتم إلى الكنيسة
المقدسة كأنكم في السماء وسط الملائكة مسبحين قائلين مع
داود النبي: " أشكرك يارب من كل قلبي وأمجد اسمك أمام
الملائكة لأنك استجبت لكلام فمي وأسجد لك عند هيكل
قدسك واعترف لاسمك القدوس " (٢).

نعم أيها المؤمنون أنه محقق عند جمهور القديسين والعلماء أن
الملائكة يتزلون من السماء في وقت القداس، وليس ذلك بعجيب
لأنه حيثما يكون الملك، هناك يكون خدامه. ولنا أمثال كثيرة في
ذلك، منها ما قاله لوقا الإنجيلي عن زكريا ابن براشيا الكاهن أنه لما

(١) مز ٩٢: ٥

(٢) مز ١٣٨: ١، ٢

دخل الهيكل ليختر ظهر له ملاك الرب قائماً عن يمين المذبح،
 ويوحنا المحبوب في رؤياه شاهد أنه رأى ملاكاً آخر واقفاً قدام
 المذبح ومعه مجمرة من ذهب، وكذلك رأى جدعون، وإبراهيم،
 وداود ملائكة، ويعقوب رأى سلماً منصوباً على الأرض ورأسه
 يمس السماء وملائكة الله صاعدين ونازلين عليه. فماذا تظنون في
 صعودهم ونزولهم؟ إنما هو صعود ونزول لأجل القداسات الإلهية
 ورفع صلوات وطلبات المؤمنين قدام الله، هذه الشهادات وغيرها
 معدودة في أحبار القديسين وتبين أن أرواح الملائكة السماوية تحضر
 صلوات المؤمنين وتقف مع الكاهن حينما يقُدس القداس الإلهي،
 فإن كان الأمر هكذا ماذا تقول عن الذين يقفون في القداس يغير
 وقار ويكونون منشغلين بالحديث الخاسر ويتحدثون في أمور
 الزراعة والتجارة وأحوال المكاسب وأفكارهم في أمور الدنيا
 ولذاتها ومشاغلها ويتلهون عن حضرة ملك الملوك ورب الأرباب
 مع ملائكته في وقت الأسرار الإلهية، فمثل هؤلاء يربحون لعنة لا
 بركة، أما إذا كانوا مسبحين بعقولهم صادقين في قولهم "قلوبنا
 عند الرب" عندما يخاطبهم الكاهن "ارفعوا قلوبكم"، تحل عليهم
 بركة الله ونعمته تظللهم وغفران الخطايا يشملهم.

من فوائد القداس الإلهي؟

يا إخوتي لا تشغلوا أفكاركم عن تسايح الخالق لكي تُعطى لكم مواهب نعمته السماوية. ونحصل على فوائد القداس الإلهي، ولنفهم فوائده جيداً. إذا عرفنا فوائد ذبائح العتيقة التي كانت دليلاً على القداس الإلهي - كما قلنا سابقاً - فقد كانت هناك ذبيحة المحرقة التي لأجل الطاعة والعبادة والوقار وكانوا يحرقونها كلها بجملتها وهكذا ربنا يسوع المسيح في القداس الإلهي يقدم لله ذاته ذبيحة عنا كما قال معلمنا بولس الرسول: " أحبنا المسيح وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة " (١)، وكما قال داود النبي عن ذبيحة السيد المسيح: " بذبيحة وقربان لم تسر بل جسداً هيأت لي، محرقة وذبيحة خطية لم تطلب قلت هأنذا أنا قادم " (٢)، وكانت هناك ذبيحة لأجل مغفرة الخطايا، فكان المقرب ذبيحته يضع يده على رأس الذبيحة وكان يعترف بأنه مستوجب الموت والقتل بذنوبه وهذه الذبيحة فداء عنه، ثم بعد ذلك يذبحونها ويحرقونها بالنار خارج المحلة فكان الله يشير

(١) أف ٥ : ٢

(٢) مز ٤٠ : ٦ ، ٧

بذلك أنه يغفر خطايا التائبين بواسطة خدمة الكهنة في القُداس الإلهي لأن في القُداس يُقرب لله الحمل الذي يرفع خطايا العالم، فالسيد المسيح كما قدم ذاته عنا على الصليب لأجل خطايانا هكذا يقدم ذاته عنا ذبيحة على المذبح المقدس غفراناً لخطايانا وكما شهد يوحنا المعمدان قائلاً: " هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم " (١)، وأيضاً يقول معلمنا بولس الرسول: " إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة كان يُرش على المتدنسين فيطهرهم على طهارة أجسادهم فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح القدس قرب نفسه لله بلا عيب يطهر نياتنا من الأعمال الميتة لنخدم الله الحي " (٢). وقال أيضاً: " دم المسيح ينطق أفضل من دم هايبيل " (٣). لأن دم هايبيل كان يصرخ بالنعمة من أخيه قايين، وأما دم المسيح فإنه يصرخ بالعفو وغفران الخطايا، وليس مرة فقط مثل دم هايبيل بل في كل وقت وفي كل قُداس إلى يوم مجيئه ليدين الأحياء والأموات.

(١) يو ١: ٢٩

(٢) عب ٩: ١٣، ١٤

(٣) عب ١٢: ٢٤

لأجل ذلك كلما حضرنا القداس الإلهي ينبغي أن نطلب
 الغفران من الله عن خطايانا وعن خطايا المؤمنين ونقول مع داود
 النبي: " لا تذكر لنا الذنوب القديمة فلتدركنا رأفتك سريعاً لأننا
 قد افتقرنا جداً، أعنا يا الله مخلصنا ومن أجل اسمك يارب نجنا
 واغفر لنا خطايانا من أجل اسمك " (١). وقد أخبر القديس
 غريغوريوس أنه كان في زمانه رجل من المؤمنين أُسرَ لدى
 الأعداء وظنت زوجته وأهله انه قد قُتل أو مات في الحرب
 وكانت امرأته متدينة وعفيفة، فكانت توصي أن يُصلى قداس
 كل أسبوع من أجله وبعد مدة من الزمن خلصه الله من أسره
 وعاد إلى بلاده وشهد عن نفسه أنه كان مقيداً بالقيود الحديدية
 ولكن كانت تنفك عنه مرة في الأسبوع، فلما ضبطوا حساب
 الوقت وعدد الأيام عرفوا وتحققوا بأن تلك الأيام التي كان فيها
 تنحل عنه القيود هي الأيام التي كانت زوجته تطلب قداساً من
 أجله، ثم قال القديس غريغوريوس: " ومن هذا يا أحبائي نعرف
 مقدار عظمة الذبيحة المقدسة في حل الأنفس المقيدة وغفران
 الخطايا كما حلت هذا الرجل من أغلال الجسد " .

(١) مز ٧٩: ٨، ٩

كان أيضاً في ناموس موسى يُقدم ذبائح شكر لله على خيراتهِ وكان ذلك أيضاً يشير إلى ذبيحة القداس الإلهي. ماذا نستطيع أن نقدم لله عوضاً عن إحسانه إلينا؟! الله غير محتاج لشيء من الأشياء وكل ما لنا وكوننا نحن من الله، فهو لا يطلب منا غير الشكر والتسبيح له. فليس لدينا أفضل من أن نقدم ذبيحة الشكر ابنك الوحيد على مذبحك الطاهر غفراناً لخطايانا وحياة أبدية لنا نحن المتناولين منه، كما قال الابن الوحيد عن نفسه: "أنا هو الخبز الحبي الذي نزل من السماء، من أكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (١). وقد قيل في السفر الثاني من التوراة المقدسة أن موسى النبي لما نزل من طور سيناء صار وجهه - من مناجاة الله ربه - بهياً لامعاً مثل الشمس حتى أن بني إسرائيل لم يقدرُوا أن ينظروا إليه من شدة اللمعان الذي كان يشع من وجهه فاحتاج إلى برقع يستر وجهه به حتى يقدر الناس على الدنو منه ومخاطبته، وهكذا فعل موسى السماوي الذي هو ربنا يسوع المسيح لما أراد أن يكون معنا دائماً على وجه الأرض ستر

(١) يو ٦: ٥١

لاهوته تحت عوارض الخبز والخمر لأننا لا نستطيع النظر إلى
لمعان مجده وعز عظمته. هذا هو أعجب العجائب، ونعيم النعيم.
هذا هو سر الأسرار ونور الأنوار الذي به أحب الله أن يمكث
مع البشر على الأرض ويطعمهم جسده الذي به أحب الله أن
يمكث مع البشر على الأرض ويطعمهم جسده ويسقيهم دمه،
كما قال لتلاميذه قبل صعوده إلى السماء: " ها أنا معكم كل
الأيام وإلى انقضاء الدهر " (١). فما بالنا نحن أيها المؤمنون
بالتهاون والكسل مضجعين والغشاوة على قلوبنا وعلى أذهاننا
إن لم يميز محبته لنا.

كما أن الطفل الذي ترضعه أمه اللبن اليسير لكي تحفظ
حياته وينمو قليلاً قليلاً، ولو منعت أمه من الرضاعة فإنه للوقت
يموت، وهكذا نحن نستفيد ونمو قليلاً قليلاً في الحياة الروحية
عندما نتناول من الأسرار المقدسة التي وهبنا لنا مخلصنا ولا نموت
بل نصير قرييين من الله. اعلّموا ما دام الإنسان موجوداً في هذه
الدنيا فالشيطان والجسد ولذات هذا العالم يتجهد في كل حين أن
يعدوه عن نعمة الله ومحبته لنا التي هي الأسرار الروحية المحيية.

(١) مت ٢٨ : ٢٠

لذلك نتيقظ كل حين لتناول هذا الطعام المقدس الضروري للحياة الأبدية كما قال مخلصنا: " جسدي مأكّل حق ودمي مشرب حق من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه .. فمن يأكلني فهو يحيا بي " (١). فهذا الطعام المقدس هو قوتنا وزادنا في هذه الحياة الحاضرة، فإن أراد الإنسان أن يسافر بعيداً فإن لا بد له من القوت والزاد حتى يصل إلى غاية سفره، هكذا الإنسان فهو مسافر في هذه الدنيا، وسفره بعيداً لأنه من الأرض إلى الفردوس، طالما الأمر هكذا فلا بد له من القوت والزاد إلى أن يصل إلى الملكوت الأبدي وإلا يموت موتاً روحياً وليس له حياة. فكما أن إيليا هرب من وجه الملكة إيزابل التي أرادت قتله إلى البرية وهناك نام تحت ظل شجرة فأيقظه الملاك، فانتبه فوجد خبزاً وماء فأكل واقتات بهما ومشى أربعين يوماً وأربعين ليلة بقوة هذا الخبز حتى وصل إلى جبل الله حوريب هكذا الإنسان مادام في هذه الحياة الأرضية، الشيطان والعالم والجسد يطاردونه لكي يقتلونه فينبغي له أن يهرب من وجوههم إلى جبل الله الذي

(١) يو ٦: ٥٥ - ٥٧

هو الملكوت الأبدي بقوة تناوله من الطعام الروحاني الذي هو
جسد ودم عمانوئيل إلهنا.

منذ خالف أبونا آدم الوصية المقدسة ووقع في الخطية،
ضعفت طبيعتنا وفسدت حتى صارت تقاوم العقل المستقيم
وتخالفه في كل حين وأيضاً ضعفت قوتنا وإرادتنا وعقولنا ومالوا
جميعاً إلى الشر لكن بواسطة القربان المقدس الذي هو الطعام
الروحاني تقوى إرادتنا وتنقى عقولنا وتكسب ما خسرت
طبيعتنا فلا تميل إلى الفساد ولا إلى الشر، وقال القديس كيرلس
بطريك الإسكندرية: "المؤمنون يقوون بتناول الأسرار الإلهية،
ويقاومون الملوك والسلاطين الجبابرة الذين يضطهدونهم. فكان
المسيحيون يتناولون من الأسرار المقدسة قبل أن يذهبوا للوقوف
أمامهم فتشدد قلوبهم ولا يخافون من سيف ولا من عقوبات
الموت". وقد قال يوحنا ذهبي الفم: "المؤمن ينبغي له بعد تناول
القربان المقدس أن يتشجع ويكون كالسبع مهيباً على الشيطان
وغيره من الأعداء". وقد اتضح هذا وصح أيضاً أن الذين
يتناولون من الجسد الطاهر باستحقاق ينتصرون على الخطية
وتقوى إرادتهم على مقاومة كل شهوة رديئة لأنهم ثبتوا في

المسيح والمسيح ثبت فيهم لهذا أشار القديسون أن كل إنسان له غرض في خلاص نفسه ويشتاق إلى الحياة الأبدية عليه التناول من الأسرار المقدسة باستحقاق لأن كثيرين فعلوا ذلك فصاروا أقوياء بعيدين عن الخطية. فيجب علينا الاستعداد دائماً لتناول هذه الأسرار المقدسة الجيدة.

ضرورة الاستعداد للتناول من الأسرار المقدسة:

لابد للإنسان أن يستعد للتناول من الأسرار المقدسة بالتوبة النقية والاعتراف السليم وتنقية الأفكار من كل دنس وخطية لكي يقدر أن يتناول بأمانة قوية وبصفاء نية، لقد قيل أن أحد القديسين اشتاق أن يتناول من الأسرار المقدسة، فناده صوت من السماء قائلاً: "فتش ذاتك" فالذين يتناولون بغير وقار لا يشتركون في النعم والفوائد التي أحفاها الله لمحبيه في هذه المائدة المقدسة، فلكي تستفيد من تناول الأسرار يجب عليك الاستعداد بالتوبة والاعتراف، فالنفس المريضة يزداد مرضها مثلما لو أطمعنا مريضاً بطعام الأقوياء يقوى عليه المرض ولا ينتفع شيئاً فيجب الاستعداد بتنقية النفس من مرض الخطية وبالنية الصالحة، فقد ذكر في الإنجيل المقدس أن السيد المسيح أرسل رجلين من

تلاميذه لكي يعدا المكان الذي سيأكلون فيه الفصح فهذا يدل على ضرورة الاستعداد لكل من يقصد تناول جسد الرب الذي هو بالحقيقة جسد عمانوئيل إلحنا. فقد ذكرَ في أخبار الملوك الأرثوذكسيين أنه كان ملك من ملوك القسطنطينية وكانت عائلته تحضر القداس الإلهي في الكنيسة فكشف الله عن عيونهم فنظروا الكاهن وهو يقدر القربان أن في يديه طفلاً جميلاً جداً يضيء كنور الشمس فصار لهم ذلك عجباً وبعد ما فرغ القداس الإلهي مضوا إلى بلاط الملك مسرعين ومخبرين الملك بهذه الرؤيا التي نظروها فأجابهم الملك قائلاً: " حقاً أن هذا الطفل هو السيد المسيح ملك الملوك ورب الأرباب ". فيجب علينا الاستعداد في كل حين لكي نقرب من هذا السر العظيم بالتوبة الصادقة والندامة القلبية والدموع الحقيقية والاعتراف أمام الطبيب الروحاني الذي هو الكاهن. فمن يتوب توبة نقية ويعمل قانونها ويندم غاية الندم فحينئذ يتقرب من تلك الأسرار فأني متيقن أن من يتناول القربان المقدس بعد الإقلاع عن الخطية تغفر له ذنوبه، فتناول الأسرار الإلهية بعد التوبة يطرد الشياطين ويظفيء سهامهم المتقدة ناراً. تناول الأسرار الإلهية سور منيع

وحصن حصين. تناول الأسرار الإلهية يشقي سائر الأمراض
النفسية والجسدية. تناول الأسرار الإلهية بقلب طاهر وجسم نقي
يحرق الشياطين ويطردهم بعيداً... فلنبادر إلى التوبة والإقلاع
عن أصناف الخطية ونستعد للتناول من الجسد الطاهر والدم
الكريم.

الفصل الثاني

التناول من الأسرار ومهابتها

كيف يجب أن نتقدم لتناول من الأسرار الإلهية؟ (١)

من أقوال القديس أنسطاسيوس السينائي:

سُئِلَ القديس أنسطاسيوس السينائي: هل جيد للإنسان أن

يتقرب للتناول بمداومة أم يتغيب عن ذلك؟!

فأجاب القديس: الرسول بولس يقول لنا: " ليمتحن

الإنسان نفسه ثم يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لأن من

يأكل وهو غير مستحق ويشرب وما هو مستأهل فهو يأكل

ويشرب دينونة لأنه لم يفرز ولا يميز جسد الرب لذلك فيكم

قوم كثير مرضى وسقماء وكثيرون يموتون بغتة، لأننا لو دنا أنفسنا

ما كنا ندان لذلك نتأدب من الرب كي لا ندان مع العالم " (٢)

فإنه ظاهر وبيّن يجب أن نتقدم ونبادر بتنظيف نفوسنا من كل

عمل المضاد ثم بعد ذلك نتقرب من الأسرار المقدسة، كي لا

تصير لنا هلاكاً للنفس والجسد، فإننا نجد الله يقول لشعب

(١) من مخطوطة ١٨٨ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر - المقالة

الثالثة والخمسون

(٢) ١ كو ١١ : ٢٨ - ٣٢

إسرائيل بواسطة موسى: " أي إنسان منكم ومن نسلكم يتقدم إلى قربان الرب وهو نجس وذنس، تلك النفس تُهلك فيحفظون شعائري لكي لا يحملوا لأجلها خطية يموتون بها " (١) فهذا الكلام يُقال أيضاً لمن يتقرب للأسرار الإلهية بغير استحقاق وهذا ما أكده قول الرسول بأن من أجل هذا فيكم مرضى وسقماء وكثيرون يموتون بغتة. فسُئِلَ أيضاً: " هل ترى التناول من القربان كل يوم جيد، أم من الأحد إلى الأحد، أم من وقت لآخر؟! " فأجاب قائلاً: " إجابة هذا السؤال ليست واحدة أو متشابهة لكل الناس، لأن هناك قوم جيد لهم يتقربون كل يوم، وهناك ما يجب لهم يتقربون على الإطلاق. فيوجد قوم يمتنعون عن التناول ولكنهم يمرحون في الخطايا، وقوم آخر يتقربون للتناول حرزاً وصيانة لنفوسهم، كما يوجد قوم يتقربون بتهاون ويوسعون للشيطان موضعاً في نفوسهم، وقوم آخر يتحفظون ويحترسون من فعل الخطايا متى يعولون على أخذ القربان وهناك قوم سيكون وينوحون على نفوسهم فيكفون عن القربان مدة من الزمان وأظن أن هؤلاء نعم ما يفعلون فلا يدعون للشيطان

(١) لا ٢٢: ٣ - ٩

موضوعاً فيهم وأجمل القول أقول ضمير الإنسان الشاهد له هو القانون في تناول القربان ."

من أقوال القديس ماركيانوس:

... الروح القدس يحل على من يتقرب للتناول باستحقاق ويسر به ويسكن فيه كما هو مكتوب: " من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه " (١) لذلك رأى الآباء أن من يشعر في نفسه بخطية ما يجب عليه أن ينظر إلى العقوبة الصائرة بسبب تناوله بغير استحقاق، فيمتنع عن تناول القربان حتى لا يقع به النكال متى تهاون بأخذه وخالف ما هو موجود في الكتب المقدسة، فيجب أن يتعلم من قول الرسول ليمتحن كل أحد نفسه ثم يتناول، فمن تأهب واستعد ليدنو من تناول القربان المقدس باستحقاق فتحل النعمة عليه ويصير تربة صالحة لإنبات ثمار العدل، أما قليلو الحنكة الذين يتقربون للتناول لا لفائدة بل كسائر أحوال البشر فلا نمنعهم من مرادهم باغضين لهم بل نعتني بما يوافقهم ونعلمهم كيف يكفون عن شرورهم ولا يعودون إليها ويصنعون أثماراً تليق بالتوبة حتى ينجحوا ويستحقوا تناول

(١) يو ٦ : ٥٦

الأسرار المقدسة، ومن استحق تناول لا يثق بنفسه بل يهتم ويتحفظ من الرجعة ويلازم الصلاة حتى لا يظلم الحسد عينيه ولا الغش يخدع قلبه فيتعرقل وينطفيء فرحه.

من كلام القديس إيسوذوروس:

الخاطفون غير المتجاسرين على الأسرار الإلهية، هم أوفياء سريعاً سيطرحون عنهم الخطية، أما الخاطفون المتجاسرون على الدنو من الأسرار الإلهية والتناول منها فكما كتب القديس زوسيماء عنهم أنهم أهلاً لربوات من العقوبات إذ قد جعلوا أنفسهم تحت الدينونة حسب قول الرسول لأنهم مجرمين في جسد ودم السيد المسيح لكن الأولين (الذين يخطئون ولا يتجاسرون على التقرب من الأسرار) فإبليس لا يستطيع أن يقتنصهم بالرغم من أنهم خطاة لأنهم يحفظون كرامة الأسرار الإلهية، أما أولئك الذين يخطئون ويتجاسرون على أخذ الأسرار الطاهرة فإن إبليس يسكن فيهم من قلة احترامهم للأسرار المقدسة.

من كلام القديس يوحنا الدمشقي:

تناول الأسرار المقدسة يصير لآخذه باستحقاق وبأمانة واجبة
غفراناً للخطايا و حياة أبدية وحرزاً للنفس والجسد ومن هم عكس
ذلك أي يتناولون بدون استحقاق يصير لهم عقاباً وعذاباً كما أن
موت السيد على الصليب صار للمؤمنين به حياة و خلاص أما
للعصاة والمعاندين والأشرار فقد صار لهم عذاباً مؤبداً.

من أقوال القديس يوحنا ذهبي الفم في إحدى عظاته:

أثناء الدنو من المائدة المقدسة الرهيبة فلنتقدم كلنا متيقظين
متأهبين، ولا يكون أحد مثل يوداس خبيث وفيه غش ويقول
بلسانه شيئاً وبقلمه شيئاً آخر غيره، فالسيد المسيح الذي صنع
تلك المائدة فالآن حاضر هو بعينه، والذي يحول الخبز والخمر إلى
جسد ودم المسيح ليس هو بشر بل هو الروح القدس لأجلنا.
فينطق الكاهن مثلما نطق السيد نفسه قائلاً: " هذا هو جسدي"،
كما أن ذاك القول، انموا واملأوا الأرض قيل مرة واحدة وصار
مفعوله مستمراً يقوي الطبيعة البشرية للتناسل والولادة هكذا
أيضاً هذا القول قيل مرة واحدة ليحول القربان الموضوع على
المذبح في كل الكنائس منذ ذلك اليوم إلى يوم مجيئه.

فلا يتقدم إلى هذه المائدة شرير ولا خبيث ولا أحد في نفسه
غش وسم لئلا يأخذ لنفسه دينونة ... فالذين يتناولون القربان بغير
استحقاق يقفز عليهم الشيطان ويدخل فيهم ويسكن لديهم ...
كما أن الكرامة تنفع المستحقين لها، فهي أيضاً تضر غير
المستحقين، وأقول هذا لا لكي أفزعكم بل لكي تحترسوا
وتتبهوا لأن هذا القربان غذاء روحاني وكما أن الغذاء الجسدي
إذ دخل معدة بها مرض فإنه يزيد مرضاً للمريض وذلك ليس
بسبب طبيعة الغذاء الذي تناوله بل بسبب ضعف ومرض
معدته، هكذا أيضاً هذا الغذاء الروحي إذا دخل نفس إنسان
ممتلئة خبثاً فيهلكها ويفسدها وذلك ليس بسبب طبيعة هذا
الغذاء بل بسبب ضعف ودنس النفس التي قبلته، إذاً فلا يكن
أحد ذا أفكار خبيثة بل ننقي أنفسنا وننظفها إذا أردنا الدنو من
هذا القربان النقي النظيف.

إذا كان داخلك غضب على أحد فاصرف وحل هذا
الغضب لتنال شفاءً من هذه المائدة فإنك تتقدم إلى مائدة مهيبة
فيجب عليك أن توقرها وتحشاها، فالسيد المسيح بين يديك
ذبيحاً، ولم ذُبِح؟! ذُبِحَ لكي يلقي السلام بين السماء والأرض،

ولكي يجعلك صديقاً للملائكة، ولكي يصلح بينك وبين إله الكل، ولكي يجعلك خليله وصديقه. فالسيد المسيح بذل ذاته ليحل العداوة وأنت الذي في العبودية تقيم عداوة لأخيك، فبأي قدم تسعى إلى مائدة السلام، فالسيد ما منع الموت عن نفسه لأجلك وأنت لا تزيل الغضب الذي بينك وبين شريكك في العبودية وذلك لأجل خلاص نفسك، فأبي عفو أنت تحظى به أو أي صفح أو غفران تناله، نعم قد تقول: "أخي هذا آذاني غاية الأذى وبالغ في ضرري أشد الضرر". أما أنا فأقول لك ليس الخسارة والأذى في القنية، فهل صُلبت كما صُلب السيد المسيح من اليهود؟ وزيادة على ذلك ضربوه وأهانوه وصلبوه وأراقوا دمه. فالدم الذي أراقوه صار خلاصاً لمهرقيه فماذا فعلت أنت من شيء يساوي هذا أو يوازيه؟! فإن لم تصفح عن عدوك فلا يصيبه ضرر دون أن تضر أنت نفسك، وأكثر شيء تستطيع أن تفعله أن تؤذي ذاك في هذا العالم فقط، أما أنت فقد تكون أعدمت نفسك من الغفران، إذ الله لا يغفر لك في ذلك اليوم العتيد لأنك ما غفرت لأخيك، فالله يبتعد عن القلب الملتهب بالحق، اسمع ما يقوله في عظته على الجبل: "إذا قدمت قربان

على المذبح، وتذكرت أن هناك وأنت قائم قدام المذبح أن في نفس أخيك شيئاً عليك، فاترك قربانك وامض لتصالح أخاك " (١) قد تفكر في نفسك قائلاً: " كيف أترك القربان؟ كيف أفعل ذلك؟! " أقول لك نعم نعم نعم أترك القربان واذهب اصطح مع أخيك، لأن هذه الذبيحة صارت من أجل نشر السلام بين الناس وأنت لا تسعى للسلام فباطلاً تناولك من هذه المائدة المقدسة ولا جدوى لك ولا منفعة، اعمل أولاً ذاك الأمر الذي من أجله صارت هذه الذبيحة وحينئذ تستفيد وتأخذ منها نعماً.

لقد نزل ابن الله ليصالح بين طبيعتنا وبين الله أبيه، وجعلنا نحن الذين نخدم هذه الخدمة (أي خدمة المصالحة والسلام) شركاءه في تسميته إذ قال: " طوبى لصانعي السلام فإنهم أبناء الله يدعون " (٢). فما صنعه ابن الله الوحيد تصنعه أنت متى سغيت في طريق السلام وصنعت سلاماً بين نفسك وبين غيرك. ففي وقت تقلم القربان ما ذكر الرب وصية أخرى سوى وصية مصالحة الأخ مظهراً بذلك أنها من أعظم الوصايا.

(١) مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤

(٢) مت ٥ : ٩

نعم لقد كنت أريد أن أطلب في الكلام ولكن في هذا كفاية لمن يصغى، فلنتذكر هذه الأقوال دائماً وفي وقت مصافحة بعضنا بعضاً نقبل بعضنا قبلة مقدسة طاهرة ونداوم على ذلك لكي نصير جسداً واحداً ويكون لنا قلب واحد وفكر واحد إذ نحن جميعنا نتناول من جسد واحد، فلنربط نفوسنا برباط المحبة والطهارة والسلام وإن كنا على هذه الصفات يمكننا أن نتمتع دائماً بالمائدة المقدسة الحاضرة معنا.

وأيضاً من مقالة أخرى للذهبي الفهر:

أنا أرى كثيرين متناولين جسد السيد المسيح تابعين في ذلك عادة لا ناموساً ولا فكراً مستقيماً ولا نية طاهرة، فيفعلون ذلك متى حضر الصوم أو الفصح المقدس، فلا يليق بهم انتظار الأصوام والأعياد لكي يتناولوا القربان المقدس بل يجب عليهم تطهير نفوسهم وأجسادهم ويتقربون للأسرار المقدسة ولا يتعدون عنها، لأن من ينجس أو يدنس نفسه بالخطايا، لا في عيد ولا في صوم هو مستحق تناول هذا الجسد الرهيب، تأمل كيف كان أولئك الذين في العهد القديم يتأهبون إذ أرادوا أن يقدموا ذبيحة، فلقد كانوا يطهرون نفوسهم غاية التطهير وينظفون أجسادهم،

فكم بالحري أنت الذي تتقدم إلى ذبيحة تقشعر منها الملائكة، فكيف تجرؤ على الدنو من جسد المسيح بيد دنسة وفم نجس؟! فالذين ضميرهم نقي وسيرتهم نظيفة هؤلاء يتقربون إلى المائدة المقدسة، أما الذين غير ذلك فلا يتقربون جملة، لكي لا يأخذوا دينونة وعقاباً، لذا نجد الكاهن يهتف قائلاً: "القدسات للقدسين" فمعناه من ليس هو قديس فلا يقترب، ليس فقط يكون لا يفعل خطية بل أيضاً قديساً.

من أقوال القديس ثيودوريتس:

الذين يفعلون خطايا فليمتنعوا عن تناول الأسرار المقدسة ولكن لا يمتنعون عن صلاة الموعوظين ولا عن سماع الكتب الإلهية ولا عن عظات المعلمين، ولا أيضاً يمتنعون عن تناول الأسرار حتى الموت بل إلى زمن محدود حتى يشعروا بمرضهم ويشتاقوا إلى العافية ويذركون أنهم تركوا الملك الحقيقي وانضموا إلى ماردا غاصب وفروا من أمام المحسن إليهم قاصدين المحارب ضدهم. ولقد قال الأب أفثيموس المنير أنه لما كان يقدم القربان الإلهي كان مراراً كثيرة يرى الملائكة تخدم معه ... وأثناء توزيع الأسرار على الإخوة كان يرى قوماً منهم مستنيرين وقوماً آخر مدانين ... لذلك كان

ينذرهم كل يوم قائلاً: " لاحظوا أنفسكم يا آبائي وإخوتي وكل واحد منكم يفحص ويحاسب نفسه وحينئذ يأكل من الخبز ويشرب من الكأس وذلك حسب قول الرسول بولس بأن المتقدم على تناول بغير استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه، فالكاهن الذي يقدم هذه الذبيحة الغير دموية، قبل أن يبدأ ينذر الكل موصياً قائلاً: " لتكن قلوبكم إلى فوق " و ينتظر وعد الشعب بإجابتهم له بأن قلوبهم عند الرب، حينئذ يثق ويكمل الصلاة لتقديم الذبيحة، وإذا ما انتهى يرفع يديه إلى فوق ويهتف بصوت جهير قائلاً: " القدسات للقدسين " أي كأنه يقول: " أنا إنسان مثلكم وأجهل عمل كل واحد منكم ولا أعرف ضميره ولا ما هو في فكره لذلك أنذركم في الرب حتى من كان متدنساً بمرض الحنجرة أو بمحاوئته مع الأفكار السمجة، أو كان في قلبه حقد وبغضة أو انهزم من الكبرياء فلا يتحاسر على الدنو من هذه النار الإلهية قبل أن يغسل وينقي ذاته بالتوبة اللاتقة، وينظف نفسه من كل فكر جسدي متفكراً في الروحيات، ويسير في طريق القداسة لأن هذه القدسات ما هي للأنجاس بل للقدسين، فيا معشر أنقياء القلوب تقدموا لتستنيروا ووجوهكم لن تخزي " .

ما حدث مع القديس مقاريوس:

قال القديس بلاديوس: طرقت باب الأب الكبير الروحاني مقاريوس، فوجدت خارج قلايته قسماً لقرية مطروحاً على الأرض، وكان شعر رأسه متساقطاً من المرض لدرجة تاكل جلده وانكشاف عظام رأسه، هذا الكاهن قد جاء إلى الأب مقاريوس آملاً أن ينال بركة صلواته الشفاء، لكن القديس مقاريوس لم يشأ أن يكلمه بكلمة واحدة، فسألته (أنا بلاديوس) أن يرحمه ويعزيه بكلمة فأجابني الأب مقاريوس: " هذا لا يستحق الشفاء، لأن هذا المرض الذي حل به تأديب له، فإن شئت له الشفاء أفنعه أن يتعد عن تقديم الأسرار الإلهية " .

فقلت له: " أسألك يا أبي لماذا هذا الحكم؟ " فأجابني: " لأنه يفعل الخطية ويقدم القربان المقدس، لذلك سمح الله بأن يؤدبه بهذا المرض فإن خاف الله وندم على ما تجاسر عليه واحترم الأسرار الإلهية ووقرها فإنه يُشفى " .

أخبرت المريض بهذا الكلام فعاهدني أنه لا يعود أن يكهن ولا أن يقدم الأسرار بل يقدم ندامة وتوبة، حينئذ قبله الأب مقاريوس وقال له: " هل تثق أنه لا يخفى عن الله خافية؟! " فأجاب: " نعم

لا يخفى عن الله شيء ". فسأله أيضاً: " وهل تعود وتستعثر وتهزأ
بالأمور الإلهية؟ " فأجاب: " لا أستطيع يا سيدي " فقال له الأب
مقاريوس: " الآن هل تحققت أن هذا التأديب حل بك بسبب
خطيتك؟ " فاعترف الكاهن بخطيته وعاهد الأب مقاريوس أن لا
يعود للخطية مرة أخرى، ولا يعود أن يمارس سر الكهنوت بل
يكون كأحد المؤمنين ويمارس ما يمارسه عامة الشعب، حينئذ وضع
القديس يديه عليه وصلى لأجله، وفي أيام قلائل برىء من مرضه
ونبت شعر رأسه وعاد إلى بيته صحيحاً معافى ممجداً الله وشاكراً
عمله العظيم في قديسيه.

لذلك نعلم جيداً مدى الخطر الذي يلحق الإنسان المتناول
بغير استحقاق، وكذلك أيضاً الذي يتكاسل ويتهاون ولا يتناول
من الأسرار المقدسة يصير مسكناً للشيطان، أما الذي ينشط
ويحترس ويتقدم لتناول الأسرار المقدسة تبتعد عنه قوات الظلمة،
ولقد قال الأب يوحنا الدمشقي أن أحد السحرة اعترف قائلاً:
" أنني لما كنت أرسل قوة من قوى الشياطين لأذية أحد المؤمنين،
فعندما الشيطان يصل إليه ويجده متناولاً من المائدة المقدسة لا
يستطيع أن ينفذ قوته ولا حيلة فيه " .

من القوانين الكنسية:

من كان عليه قانون بأن يمتنع من تناول القربان المقدس، وعرضَ لمرض الموت فيجب تقريبه من الأسرار المقدسة كي لا يخرج من العالم عادم خيراً هذا مقداره، وإن عاش بعد ذلك يحفظ قانونه ويتممه. لقد قال القديس غريغوريوس المصباح المنير أسقف نيصص في القانون الخامس من رسالته: "إن عرض مرض موت لإنسان لم يكن قد أتم زمان ما عليه من قانون، فالقوانين الكنسية تأمر بأن يتقرب من الأسرار ولا يمضي ذاك الإنسان إلى السفر البعيد والأخير خالياً من الزاد، وإن عاش بعد القربان يتم ما نقصه من زمان قانونه من أجل الضرورة التي طرقته.

هل أتناول مرة واحدة في السنة لأستحق الطوبى؟^(١)

بعض الناس يتناولون من الأسرار الإلهية في السنة مرة واحدة وآخرون يتناولون مراراً عديدة فمن من هؤلاء يستحق الطوبى؟ من من هؤلاء نمدحه؟ الذي يتناول مرة واحدة أم الذي يتناول مراراً كثيرة؟ الحق أقول لكم أن المديح والتطويب لا يخص الذي

(١) القديس يوحنا ذهبي الفم.

يتناول مرة واحدة ولا يخص الذي يتناول مراراً ولا يخص الذي يتخلف عن تناول مدة بل يخص الذين يقبلون الأسرار بضمير نقي وقلب طاهر، الذين يحبون أن يعيشوا حياة القداسة، حياة بلا لوم، لا يوجد فيهم شيء من الحقد والحسد، يسلكون طريق السلام هؤلاء في كل زمان لهم أن يتناولوا من القربان المقدس، أما الذين يرتكبون الخطايا فإنهم غير مستحقين للتناول ولو مرة واحدة في السنة ... فيا من تأكل من مائدة روحية واستحققت لعشاء ملوكي، هل يجوز لك بعد ذلك أن تشترك في الأعمال الخسيسة النجسة؟! هل بعد ما تدهن جسدك بالأطيب الفاخرة المعطرة، تلتطخه بالقاذورات والطين؟! فلماذا بعدما تتناول تعود إلى شرورك وعاداتك السيئة، قل لي إن كنت مريضاً بمرض ما وشفيت منه، فهل تهمل وتعود مرة أخرى للمرض؟! فإن كنا نهتم ونجتهد في هذه الأمور الطبيعية فكم بالحري والأولى نهتم ونجتهد في تناول الأسرار المقدسة. فلا تتجاسر على تناول الأسرار المقدسة ونفسك مفعمة من نتانة الخطية ونجاستها، اعلم لو فعلت ذلك تكون مجرماً في دم المسيح، مثل اليهود الذين صلبوا المسيح هكذا من يتناول بدون استحقاق، فمن يتناول

بنفس دنسة وضمير غير طاهر يكون مثل الذي قتل جسد السيد المسيح، لأن مخالفة الناموس خطية وموت مهما اختلف شكل المخالفة، فالفعل واحد.

من أقوال ذهبي الفم في توزيع الأسرار:

أقول للكهنة الذين يقومون بتوزيع الأسرار، اجتهدوا بجرص عظيم في توزيع هذه القرايين فإن عقاب ذلك ليس بيسير، ويلزمكم متى عرفتم من الإنسان خبثاً ورفضتم له في تناول هذه الأسرار فإن دماءهم تُطلب من أيديكم، وإن كان الملك نفسه صاحب التاج يتقدم إليك وعرفت منه أنه غير مستحق فامنعه لأن سلطتك أعلى من سلطته، فلو كنت مؤمناً على ينبوع ماء يشرب منه قطيع، لتحفظه نقياً ثم رأيت غنمة في فمها حمأة كثيرة، هل تسمح لها أن تشرب وتكدر العين بهذه الحمأة؟! والآن أنت ليس مؤمناً على ماء بل على ينبوع دم المسيح وتبصر قوماً آثمة يتقدمون إليه ولا تمنعهم فهذه خطية عظيمة.

الله أكرمكم بهذه الرئاسة لتمييزوا هذه الأمور، هذه ربتكم وهذه هي حياتكم، وهذا هو تاجكم، قد تسأل قائلاً: " نعم ومن أين أعرف أحوال فلان وفلان؟! " فليس كلامي معكم

عمن لا تعرفونه بل عن تعرفونه وتتحققون منه، فما أصعب أمر هؤلاء الذين يقول عنهم بولس الرسول: " فكم عقاباً أشر أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنساً وازدرى بروح النعمة " (١).

فأنظر يا خادم الأسرار لئلا تعطى سيفاً بدل غذاء، وإن تقدم لك إنسان بعبادة، فأنت قادر أن تمنعه، فلا تخش من بشر بل اخش وخف الله، فإن خفت من إنسان سيضحك عليك، ولكن إن خفت الله ستصير موقراً عند كافة الناس، وإن أنت لم تجسر أن تمنع ذلك الإنسان فأحضره إليّ، فأنا من جهتي لا أعطي له سماحاً ولو فارقت نفسي جسدي أفضل من أن أبذل الجسد السيدي لمن لا يستحقه، وخير لي أن أريق دمي قبل أن أدفع الدم الزكي لمن لا يستأهله وقولي هذا لا لكي تمنع أولئك الأشخاص ونبعدهم عن الكنيسة بل القصد كله هو إصلاحهم والاهتمام بهم وهكذا نستعطف الله، والله يكافئنا باهتمامنا على إصلاح غيرنا.

(١) عب ١٠: ٢٦

من أقوال القديس باسيليوس:

سُئل القديس باسيليوس: إذ لم يُطهر الكاهن قلبه من كل دنس قبل خدمة المذبح، هل يحل عليه عقاب؟

فأجاب: إن بولس الرسول قد قال عن الأمور المكتوبة في الناموس العتيق أنها كانت لأولئك "مثالاً، وكُتبت تأديباً لنا نحن الذين صار إلينا كمال الأدهار" (١). وقد كُتبت في الناموس هكذا: "وقال الله لموسى، قل لهرون أخيك، كل رجل من جنسك أو قبيلتك يكون فيه عيب لا يتقدم ويرفع قرابين لإلهه. لأن كل رجل فيه عيب لا يتقدم" (٢). ثم فسر ما هو العيب، لم يقل من كانت صورته متغيرة، أو أحد أعضائه كهيئة أعضاء الحيوان، وإنما قال: "إذا كان في جزء من أعضائه انكسار أو عيب" (٣). ولم يعن فقط بما يمنع العضو جميعه أن يكون فعله اللائق به، وإنما عني أنه إذا عجز العضو عن حسنه وكماله لا يصلح صاحبه أن يعد في جملة الكهنة.

(١) ١ كو ١٠: ١١

(٢) لا ٢١: ١٦ - ١٨

(٣) راحع لا ٢١: ١٨ - ٢٠

فإذا كان هذا الاحتراس قد قيل من أجل تلك الذبائح الحيوانية، فما الذي يقال من أجل سرائرنا الإلهية. وقد عرفنا بقوله: " هنا أعظم من الهيكل " (١). فما مقدار الإجماع على من يجرؤ - مادام مغلوباً من العيوب البشرية - ويصعد جسد الرب الذي سلمه عنا ذبيحة لله أبيه، لأن لا توجد مقايسة لعظم جسد ابن الله الوحيد بالنسبة إلى أجساد التيوس والعجول التي هي ذبائح العهد القديم، وأما العيوب الآن فهي العيوب النفسانية أي الإخلال بالوصايا الإنجيلية. فيجب يا أحبائي في كل حين - ولا سيما في الوقت الذي تُرفع فيه الأسرار العظيمة - أن نذكر قول الرسول ونحفظه أعني قوله: " إذ لنا هذه المواعيد يا أحبائي، فلنطهر ذواتنا من كل دنس الروح والجسد، ونكمل الطهارة بخوف الله " (٢)، وقد سبق وقال أيضاً: " ولا نعطي عشرة لشيء من العمل، لتلا يهين أحد خدمتنا، بل في كل شيء نقيم أنفسنا كخدام الله " (٣) فإن بهذا يستحق الكاهن أن يرفع أسرار المسيح كإرادة الله.

(١) مت ١٢: ٦

(٢) ٢ كو ٧: ١

(٣) ٢ كو ٦: ٣، ٤

وسُئِلَ أيضاً: إذا أكل إنسان من جسد المسيح وشرب من دمه ولم يتطهر من كل دنس الجسد والروح، فهل عليه عقوبة؟ فأجاب: إن هذا ظاهر لجميعنا، وبيانه في ناموس موسى أن الرجل الذي يجرؤ أن يدنو على المقدس وفيه نجاسة، فإنه يُستأصل من شعبه (١). وقد سبق وقلنا أن الرسول بولس أوضح أن ذلك كان لأولئك مثلاً ولنا نحن تأديباً. فإن الله قد وضع ذلك العقاب العظيم على من يدنو وهو نجس إلى ذلك الهيكل، فكم بالأكثر تكون عقوبة من يدنو إلى جسد الرب الذي هو أعظم من الهيكل. وقد صرح الرسول وقال: " إن الذي يأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس التي للرب بغير استحقاق، فقد صار مطالباً بجسد الرب ودمه " (٢). وقد أظهر لنا أيضاً عظم الدينونة بقوله: " فليمتحن الإنسان نفسه أولاً، وهكذا فليأكل من الخبز ويشرب من الكأس، لأن الذي يأكل ويشرب وهو غير مستحق فهو يأكل ويشرب دينونة لنفسه، إذ لم يميز جسد الرب ودمه " (٣).

(١) لا ٢٢: ٣

(٢) ١ كو ١١: ٢٧

(٣) ١ كو ١١: ٢٨، ٢٩

فلنتطهر يا أحبائي من كل نجاسة وذنس، ونتقدم إلى قدس القديسين ونحن أنقياء، ذاكرين الذي مات عنا وقام لتخلص من الحكم الواجب على قاتلي الرب، كما أخبر الرسول بقوله: لقد صار مطالباً بجسد الرب ودمه، ولننال الحياة الدائمة كما وعدنا ربنا يسوع المسيح له المجد إلى الأبد آمين.

من قوانين القديس باسيليوس في مهابة الأسرار المقدسة (١) :

القانون (٧٩) لا يضحك إكليريكي في حال السرائر: " إكليريكي إذا ضحك وهو في حال السرائر فعقوبته أسبوع، وإن كان الذي يضحك علمانياً فليخرج في تلك الدفعة ولا ينال من السرائر ."

القانون (٩٦) لأجل ترتيب المذبح:

" لا يتكلم إكليريكي على المذبح خارجاً عما تحتاج إليه الضرورة، لأن هارون وضعت له جلاجل قي ثيابه لأجل خوف الملائكة، يجب أن تكون لنا المزامير على المذبح عوضاً عن الجلاجل التي لهارون فلا يتكلم أحد جملة في الهيكل ولا حول المذبح، بل يجعلون لهم موضعاً خارج عن ذلك ... وتكون ثيابهم

(١) كما وردت بالمخطوطة رقم ١٠١ قانون بمكتبة دير السريان العامر.

بيضاء ليست مصبوغة ألوان، نازلة على أرجلهم وعلى أكتافهم بلالين، ولا يلبس أحد حذاء وهو داخل إلى المذبح، ولا يصبق أحد وهو على المذبح بدون ضرورة وجع، لأنه مكتوب في ناموس موسى والرب يخاطبه: " اخلع نعليك من رجلك فإن الموضع الذي أنت واقف فيه مقدس " (١).

من أقوال ذهبي الفم في مهابة الأسرار المقدسة: (٢)

في ساعة تقدمكم على المائدة المقدسة، تفعلون خطية بلا مبالاة، فمنكم بدلاً من أن يتقدم إلى التناول بخشوع ووقار، يتكلم مع من بجواره في الصف دون التفات إلى الذبيحة المقدسة، فخطيتكم تكلمون بعضكم بعضاً وتزدحمون مع بعضكم بعضاً، يا إخوتي تأملوا مكان الجهاد وكيف أن المتقدم في الحرب والجهاد يكون ملتزماً بالأدب والسكون، وأنتم المتقدمون إلى جسد الرب لتنالوا النصر في الحرب على عدوكم الشيطان، تتكلمون أليس أمر شنيع وعار فظيع أن نوجد مكاناً للشيطان في وسطنا، وأليس أيضاً من العار أن نكون هادئين صامتين في كثير

(١) خر ٣: ٥

(٢) من المقال الخامس عشر من مخطوط ١٩٨ ميامر بمكتبة دير السريان العامر

من الأماكن العالمية التي يكون الشيطان فيها، والمكان الذي فيه السيد المسيح يدعونا لتناول جسده ودمه نظهر التشويش والضوضاء يا للعجب من هذا التناقض.

قل لي لماذا تتكلم أيها الإنسان أثناء المائدة المقدسة؟! بمهتم؟! أترى أن الأشياء الوقتية تمك الآن في هذه الساعة المقدسة، فكان الواجب عليك في هذا الوقت المقدس أن لا تحسب هناك شيئاً موجوداً ولا تظن أنك بعد مقيم على الأرض ولا تعد نفسك بأنك قائم مع البشر الأرضيين، أعلل عدم إحساسنا بهذه الأمور ناشئة ومنتمة لضميرنا الصخري.

فيا إخوتي لا تفقدون الإحساس في هذه الساعة المقدسة كأننا القيام في السماء مع الملائكة منسرورين ونرتل معهم التراتيل الشهية، ففي هذا المعنى لقد دعانا المخلص نسوراً قائلاً: " حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور " (١) والقصد من ذلك هو أن حيث الذبيحة المقدسة نتعالى متطايرين ومحلقيين بأجنحة الروح القدس متهللين مسبحين ولا نرضى لأنفسنا أن تنساب على الأرض كالأفاعي تأكل التراب.

(١) لو ١٧: ٣٧

وهناك علامة عظيمة على التهاون والاحتقار وهي حينما تنفصلون عن القديس الإلهي قبل انتهائه وتتسللون فرداً فرداً وتذهبون إلى حيث الاهتمام بالأرضيات، فما هذا الذي تصنعه أيها الإنسان في هذه الساعة الرهيبة، حيثما سيدنا يسوع المسيح حاضر والملائكة قائمة منتصبه بخشوع ووقار أمام المائدة المقدسة الموضوعة وأنت مع ذلك تتجراً وتتجاسر أن تغادر ومازالت الأسرار المقدسة توزع، احسب نفسك قد دُعيت إلى مائدة بعض الرؤساء الكبار فهل يا ترى لو أنك شبت واكتفيت قبل المدعويين معك على المائدة تستطيع أن تنهض وتذهب وتخرج عنهم ماضياً في حالك وحدك؟! كلا، بل أنك تلبث منتظراً إلى أن يقوم المتكثون معك وههنا حيثما الذبيحة الطاهرة الإلهية فإنك تتجراً على أن تنزح قبل ختام الصلاة وإتمامها وتغادر ماضياً إلى إتمام المهمات الجسدانية، فيا ترى أي صفح مزمع أن تحوزه؟ وأي جواب يمكنك الرد به؟!

فيا أحبائي لا نفعل ذلك الخطأ الجسيم، فيا أيها الإنسان إذا كان سيدنا له المجد منحك جسده المقدس مأكلاً لحياتك الأبدية، أما يليق أن تعطيه وقتاً لائقاً وأن تشكره شكراً وافراً على نعمته

التي حزمتها من لدنه ولا تترك الصلاة التي هي غذاء روحاني
وتصيرك شريكاً للسمايين وشبيهاً بالنورانيين بالرغم من أنك
إنسان وضيع ذو طبع جسدي، فكيف لا تصير متمهلاً في أن
تشكر المحسن إليك قولاً وفعالاً؟! ولا أتفوه بهذا الكلام لتمدحوا
مقالي ولا أريد اضطرابكم وإزعاجكم، كلا بل أريد أن
ترضخوا بفطنة وتطيعون هذه الأقوال وتظهرون الأدب اللائق
والورع والسكينة والخشوع لهذه الأسرار الإلهية، فالضرورة
تدعو أن لا نتقدم إلى تناول هذه الأسرار المقدسة الروحانية إلا
بورع فائق وعبادة خاشعة وتضرعات منسحقة لنستميل بهذه
الصفات الرصينة تعطف الله الباري إلى الرضا عنا وغفران
خطايانا ونفوز بالخيرات السرمدية التي نرغب في نوالها بأجمعنا
بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبه للبشر، الذي له مع أييه وروح
قدسه العزة والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور وأبد
الآبدين آمين آمين آمين.

من أقوال القديس يعقوب السروجي في مهابة الأسرار المقدسة (١) :

اخلق فيَّ يا ربنا قلباً طاهراً كحسب إرادتك ليُخرج ويُعطي
غني كلمتك للمفروزين، أنت الغني ومنك يغتني كل
المتكلمين ...

الآب القدوس والابن القدوس والروح القدس ثلاثة أقداس
يعطون القدس للقديسين، بهذا تصرخ الكهنة بالتقديس داخل
بيت القدس، ويعظموا القدوس ليتزل ويحل في القديسين، ارتعب
أيها الخاطيء في ذلك الوقت وأنظر نفسك واغسلها ونظفها لثلا
يعبر عنك القدس. من بيت أقداس اللاهوت يخرج القدس على
العلويين ويقدهم بقده، ويتزل على التحتانيين ليجعلهم أواني
مختارة ليحل فيهم بالقداسة. الملك يتعظم مع عساكره المقدسة،
نق المسكن ليدخل يحل بالقداسة. زين نفسك بجميع حسنات
البر ليأت إليك الملكوت. النار المخوف نزل إلى الأرض ليشعل
نفسك بالبر والإيمان. فلتشتعل فيك نار الحب كالأتون لكي
بسبب حبك تتقد فيك النار الحية، وتكون نفسك محماة بالحب

(١) من ميامر يعقوب السروجي - مخطوطة رقم ٢٠٦ ميامر بمكتبة دير
السرمان العامر.

الإلهي لتقبل القدسات فكن لها مذبحاً طاهراً نظيفاً، كن لها هيكلاً ليس فيه عيب، لهذا يصرخ الكاهن بصوت مرتفع ويقول (القدسات للقدسين) فمن لم يكن مقدساً بالطهارة لا يتقدم إلى القدسات، يختبر نفسه كما كُتب حينما نأكل الجسد الحي ونشرب الدم الكريم، كل أحد يختبر وينظر نفسه لعل فيها إثم مردول، ويأخذ القدس بغير استحقاق، فالذي يغضب ويغضب لا يتقدم على القدسات، والذي يزني ويسرق يبعد نفسه عنها، والممتليء حسداً وغشاً على قريبه يتشبه بيهودا الذي لم يعطه ربنا جسده، فالسيد كسر وقسم جسده على المائدة وأعطاه للأحد عشر ليأكلوا منه بالقداسة ولأن يهوذا ممتليء غشاً منعه من القدس لأنه لم يستحق أن يأخذ القدس مع التلاميذ، ولما منع من القدس دخل الشيطان إليه وخنقه بالحبل وأهلك نفسه. أسرار ربنا نار بين السمايين، ويشهد معنا إشعياء لأنه نظر ذلك نظر هناك سر الابن بين اجتماعهم السارافيم النوراني الذي يشع نوراً ارتعب بنظرة سر الوحيد. ومن داخل المذبح أخذ الجمرة بملقط النار ومس شفتي النبي ليزرع إثمه ويتطهر. اليد النارية (يد السارافيم النوراني) لم تقدر أن تتقدم لتمسك السر المخوف

الذي يُخدم بين العلويين. ذاك الذي يصرخ " قدوس قدوس
قدوس " بغير انقطاع بخوف عظيم يحجب وجهه من رؤية هذا
السر العظيم.

فإن لم تكن غسلت نفسك من الخطية فلا تتقدم لتأكل من
الخبز المقدس الموضوع على المائدة. إن لم تنتظف لا تتقدم
لتأكل، إن كانت يديك توسخت لا تتقدم لتأكل المأكول إن لم
تغسلها أولاً وإن لم تكن توسخت، تغسلهما أيضاً لئلا يكون
فيهما شيء من الغبار ثم تتقدم للقوت اليومي العظيم وسيدك
مذبح على المائدة من أجلك، فإن لم تهتم بغسيل نفسك من
الإثم بالطهارة فلا تتقدم. الملائكة لا يستطيعون النظر إليه ونحن
ننظره بالخبز والخمر على المائدة. الرتب الملائكية البهية لم تتقدم
للمسه، وها نحن الترابيون نحمله على أيدينا، عالم السمائيين لا
ينظرون إليه - إلا بخوف ورعدة - وها المجدولون من التراب
على الكف يحملونه، الذين يجتازون في البروق لا يستطيعون
النظر إليه، وأهل التراب يمسكونه. أولئك يحجبون وجوههم لئلا
ينظروا فيه، والطين الحقيق يكشف وجهه وينظر فيه. لذلك الذي
نفسه ممتلئة من الخطية المرذولة لا يحل له أن يقترب إلى هذه

المائدة المقدسة. من أفسد نفسه بالفسق والزنا لا ينبغي له أن يتناول من هذه الأسرار السماوية. الممتليء إهانة واستهزاء وشتائم لا يعطيه الكاهن من القدس لئلا يموت، تنبع منك نتانة الشرور ولا تخاف فتتقدم إلى السر المقدس الذي يخاف ويرتعب السمايون أن ينظروه، فبأي وجه تأخذ القدس، بغير استحقاق. القداسة لم توجد فيك بل الإثم، وهو يصرخ ويقول: "كونوا قديسين مثلي، فالذي لا يتطهر لا يتقدس وليس هو لي، فإن كنتم لي كونوا قديسين مثلي، لأن أولادي يطلبون القداسة، وبالقداسة هم أبنائي والذي لم يتطهر فهو غريب عني" فلا تأخذ القدسات وأنت تفسق وتسرق لئلا تكون مذنباً للقدسات عندما تأخذها. حينما تمتليء النفس بالخطية المرذولة لا يحل لها أن تأخذ القدسات وإن تقدمت لتأخذ فأثما تهين القدسات، لذلك كثرت الأمراض وكثر المرضى وأتى الموت في غير وقته وقُطعت الحياة. فمن كانت نفسه مفسدة بالخطية ويجسر ليأخذ السر المقدس تُقطع منه حياته بالغضب الإلهي سريعاً. فإنك تطهر الإناء ثم تضع مشروبك باهتمام تنظفه من الوسخ بغسله مرات كثيرة. قط لم تضع مشروبك في إناء متسخ لأن نفسك تشمئز

ولا تشرب منه وأنت تريد أن تضع قدس سيدك في إناء النفس التي قد تدرست بوسخ ننانة الخطية، تصفي مشروبك وتضعه في أواني مختارة ولم تستعد بتطهير نفسك لقدس سيدك. إذا كانت لديك جواهر ثمينة تلفهم بحلل مكرمة وتكنزهم، وجوهر الحياة الذي هو الجسد والدم الكريم لماذا تهينه وتضعه في أواني الجسد والنفس الغير طاهرين. الجوهر الذي لم يُقاس لا بالأرض كلها ولا بالسماء كلها، فلا تقبل قدس سيدك في إناء غير طاهر. اعلم أن النفس هي إناء لقدس ابن الله فإن كانت ممتلئة من الخطية المرذولة ولم تطهر بعد، ألا يقع داخلك فزع ورعب عندما تطلب أن تضع القدس في إناء هذه النفس الممتلئة من دنس الإثم. غريباً تكون أنت عن ابن الله إن لم تطهر إناء نفسك لتقبل قدسه. فإن ميراث الرب هم الأبناء الأبرار الذين يحرسون أنفسهم في قداسته ويتشبهون بطهارته، فيستحقون لتناول أسرار المقدسة الإلهية ... الكاهن يصرخ ويقول "القدسات للقدسين" ففي ذلك الوقت المخوف الذي يصرخ فيه الكاهن ويقول ذلك ابك أيها الخاطئ وأطلب مراحم الله بقلب منسحق متواضع ومنكسر من أجل إثمك، اذرف الدموع واغسل بها

أوساخ نفسك، لتكون لك معمودية الدموع في ذلك الوقت
وبها تنغسل وتتطهر من الخطية التي فعلتها، قل للآب السماوي:
" أنا أخطات وزللت وزلتي عظيمة وتأخرت كثيراً في طلب
مراحمك، أنظر إليّ بتحنك الذي يملأ السماء والأرض وبه
ارتضي واغفر خطاياي التي فعلتها، إنك لم تطلب من الخاطي أن
يعطي ذهباً ولا فضة ولا قنية هذا العالم وغناه، بل طلبت من
الخطاة التوبة والبكاء، رذلت الفضة ولكن دموع العيون محببة
لديك، بالقطرات التي تتساقط من حدقة عيني - التي أخطات بها -
تفرح أنت يا ربي وتفرح معك القوات السماوية، بغير الدموع لا
تنغسل النفس الخاطئة، ربوات من وزنات الذهب لم تغسل
النفس كمثل نقط الدموع التي تتساقط من الحدقة، فيا رب ليس
لي دموع أعطني دموع .. وأعطنا قلباً ممتلئاً ألماً وندامة على
الخطية وبك نتطهر يا ابن الله لأن لك الحمد إلى الأبد آمين.

من أقوال القديس غريغوريوس الثينولوجوس في مهابة الأسرار المقدسة: (١)

إن مكانة الأسرار المقدسة عظيمة ومجدها جليل جداً لأن
بواسطتها ننال غفران خطايانا بعظم إحسان ربنا إلينا وجزيل

(١) من مخطوط ١٨٧ نسكيات بمكتبة دير السريان العامر

رأفته علينا إذ أنقذنا من خطايانا وطهرنا من آثامنا وعتقنا من
 سجن الحية وخلصنا من قيود العبودية وأظهر لنا سبيل الملكوت
 وأوضح لعقولنا معاني الثالوث وأيقظنا لخلق الطبيعة الجسمانية
 وأهلنا لشرف الولادة الروحانية ووعدنا بالخيرات الأبدية والنعم
 السرمدية والممالك السماوية والعشرة الملائكية، كل ذلك بتجسد
 السيد المسيح وتقدمته ذاته قرباناً عنا، وإذا كان الأمر هكذا
 فسبيلنا الآن أن نقدم له قرايين طاهرة نقية تليق بعلو شأنه كل
 واحد فواحد بحسب طاقته، ولست أعني قرايين ذهب ولا فضة
 ولا حجارة كريمة ولا كباش ولا ثيران ولا خراف حولية كل
 ذلك من النفائات، بل نقدم أنفسنا الناطقة التي هي أكرم
 القرايين عنده. ربما تسأل قائلاً: " كيف نقدم له نفوسنا؟ "
 أجبك بأن نقف دائماً أمامه ونتقدم إلى أسراره طاهرين بلا
 عيب، قد خلعنا الإنسان العتيق وجميع شهواته ولبسنا الإنسان
 الجديد الذي يتجدد كشبه خالقه، فلا يوجد فينا زان ولا مبغض
 ولا شتام ولا متمسك بجبال الذات، ولا متهافت على الخلاعات
 بل نلبس كلنا أثواب الحرية متزينين بالأعمال الروحانية لنكون
 أهلاً لتناول جسده ودمه الذي قدمه قرباناً عنا، ولنقف أمام

هيكله المقدس خاشعين رافعين قلوبنا إلى السماء مسبحين
وشاكرين اسمه القدوس الذي له كل مجد وإكرام الآن وكل أوان
وإلى دهر الدهور آمين.

وأيضاً في مهابة الأسرار والصلاة قبل وبعد تناول لأحد الآباء: (١)

يجب علينا الأمانة والوقار والخوف والهيبة والمحبة عندما ندنو
من جسد الرب ونقول في قلوبنا من عمق أنفسنا: " نعم يا
سيدي يسوع المسيح أنا أو من وأصدق أنك أنت هو إلهي
وخالقي ومخلصي وأن هذا هو جسدك المقدس ودمك الكريم
الذين جعلتهما غفراناً لخطاياي، وأنا الحقير أتقدم إلى عظمتك
طالباً المسامحة منك وتثبت فيّ وأنا أثبت فيك يارب الأرباب.
اعلم أيها الأخ لو كنت تثق تماماً أن ربك وخالقك ملك
الملك ورب الأرباب موجود على المذبح ما كنت تتجاسر
وتُعلي صوتك في وسط الكنيسة وتتكلم قدام الله بغير حشمة في
وقت الأسرار الإلهية، لأنك متى كنت حاضراً أمام القاضي
الأرضي، ماذا تصنع من الاحتشام والوقار والخوف، وإذا دعاك
حاكم مدينة للمثول بين يديه أليس ترتجف من الخوف وتكون

(١) من مخطوط ٢١٩ ميامر وعظية بمكتبة دير السريان العامر

في غاية الحرص أمامه ولا تلتفت يمينا ولا يساراً، فكيف الآن أيها المسيحي لا تحتشم ولا تهاب وقت حضور القداس ووقت تناول جسد ودم عمانوئيل إلهك.

ذُكر في سفر يشوع بن نون أن لما أراد بنو إسرائيل عبور نهر الأردن أوصاهم يشوع أن لا يقتربوا من تابوت العهد بل يكون بينهم وبين تابوت العهد مسافة ألفي ذراع (١)، فانظروا وتفهموا يا إخوتي مهابة تابوت العهد فكم وكم أعظم من تابوت العهد جسد ودم ربنا يسوع المسيح الكريم، فلنكن بخوف ورعدة ومهابة عند تناول الأسرار المقدسة ... احرصوا أيها الكهنة على سلامة أولادكم وشعبكم غاية الحرص فمطلوب منكم أن تعلموهم بالقدوة والعظة الفضائل المسيحية التي منها الطهارة والصلاة والتوبة والرحمة وحفظ الوصايا الإنجيلية لكي يستحقوا تناول من جسد الرب ودمه الأقدسين ويصيروا شركاء معكم في الخيرات الأبدية، كما قال يوحنا ذهبي الفم: " كلنا الذين اشتركنا في هذه الأسرار المقدسة ينبغي لنا أن نتفكر في ذواتنا أننا قبلنا في داخلنا الذي يجلس على العرش

(١) يش ٣: ٣، ٤

العظيم الذي تسجد له الملائكة ورؤساء الملائكة وسائر الطغمت
العلوية إلى أبد الأبدين آمين ". ونكتب لك صلاة يمكن أن تقال
قبل تناول الأسرار الإلهية:

إلهي ومخلصي وسيدي يسوع المسيح خبز
الحياة الذي نزل من السماء لحياة العالم، ها
أنا أقترّب إلى هذا الخبز المقدس المحيي وأنا
غير مستحق وأعلم تماماً أن خطاياي كثيرة
جداً ليس لها عدد وبسببها لا أستحق
الاقتراب لتناول جسدي المقدس ودمك
الكريم لكن يارب أنت قلت من لا يأكل
جسدي ولا يشرب دمي فليس له حياة أبدية
وأنا يا ربي أرجو أن لا أخسر الحياة الأبدية
معك لهذا أقبلت على هذه المائدة المقدسة
الروحانية مثل مريض سقيم يأتي إلى الطبيب
الشافئ وكفقير عار من كل فضيلة أقبلت
إليك أنت المانح كل فضيلة أقبلت وأنا
مدنس ومنغمس في الآثام إلى ينبوع الطهارة

لأنظهر. فالآن أنظر إلى بعين الرحمة يا ربي
والهي ومخلصي يسوع المسيح ملك المجد الإله
المتجسد لأجل خلاصي، أنظر إلى بعين
جودك وأنعم عليّ لأقبلك داخلي بالخشوع
والتقوى والتواضع اللائق. فلأجل خلاص
نفسي اجعلني أستحق لتناول جسدك المقدس
ونعمتك تملأني وتحرق كل شهوة رديئة ولا
أعود إلى أي خطية لأن لك المجد والإكرام
والعزة والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر
الدهور آمين.

وبعد تناول لا تستعجل في الخروج من البيعة المقدسة بل
تأمل الكرامة التي نلتها وهي قبول المسيح في داخلك، فلو دخل
ملك أرضي إلى دار فقير فكم هي الكرامة التي يشعر بها الفقير
ويتأمل ذلك وحينئذ يسأل الملك ليسدد عوزه واحتياجه هكذا
كل من يقترب ليقبل في داخله جسد يسوع المسيح ملك الملوك
ورب الأرباب وسلطان السلاطين يجب عليه أن يشكره على
عظم جوده ورأفته ويسأله أن يسدد له احتياجاته الروحية

والجسدية ويطلب المعونة في تدبير عيشه وبمأل حياته بالمحبة
والمودة لكل الناس ويطلب أن يساعده على عمل مرضاته وتنفيذ
وصاياه في كل حين ويقول هذه الصلاة بعد تناول الأسرار
المقدسة:

أشكرك يا الله الآب ضابط الكل أبا ربنا
وإنهنا ومخلصنا يسوع المسيح لأنك أطعمتني
جسد ابنك الوحيد وأنا أعلم أن خطاياي
تجعلني غير مستحق لذلك لكن جودك
ونعمتك وهبتي ذلك فأنا أسأل من رحمتك
ورأفتك أن لا يكون في تناولي هذه الأسرار
المقدسة خطية ولا دينونة على بل تناولي
يكون غفراناً لخطاياي وحياة أبدية لي ،
وأسالك يا سيدي أن تجعل تناولي هذا ثباتاً
على الإيمان المستقيم الذي جعلتني فيه وأن
يكون تناولي ترساً أرد به جميع سهام الشيطان
والجسد والعالم ، وأسال وأطلب من تحتك يا
محب البشر أن تقويني بهذا الطعام المقدس -

الذي قبلته في داخلي - على طاعتك وحسن
عبادتك وحفظ وصاياك والبعد عن الشهوات
الجسدية التي تحثني على مخالفتك ، واجعل
هذا الجسد الطاهر والدم الزكي الكريم زاداً لي
في هذه الحياة الحاضرة أعيش بهما طاهراً نقياً
مقدساً لك جسداً ونفساً وروحاً حتى أصل
إلى ملكوتك الأبدي فإنك أنت مبارك مع
ابنك الوحيد يسوع المسيح ربنا وروح قدسك
الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

تنبيه:

المتناول من الأسرار المقدسة يحفظ نفسه من أن يمضي إلى
أماكن اللهو والعبث والمزاح ولا يدنو من شيء يكون له سبباً
للوقوع في الخطية، وفي يوم تناول من الأسرار المقدسة يقرأ في
الكتب الإلهية ويستمع إلى الأقوال الروحية النافعة لخلاص نفسه
ويشغل نفسه في الصلاة والعبادة وطاعة الوصية وبذلك يتعلم
الفضائل المسيحية ويقتني داخله النعمة الإلهية التي تحفظ قلبه ملكاً
لربنا يسوع المسيح الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

المراجع

- ١ - مخطوط ١٠١. بمكتبة دير السريان العامر
- ٢ - مخطوط ١٢٣. بمكتبة دير السريان العامر
- ٣ - مخطوط ١٨٧. بمكتبة دير السريان العامر
- ٤ - مخطوط ١٨٨. بمكتبة دير السريان العامر
- ٥ - مخطوط ١٩٨. بمكتبة دير السريان العامر
- ٦ - مخطوط ٢٠٠. بمكتبة دير السريان العامر
- ٧ - مخطوط ٢٠٦. بمكتبة دير السريان العامر
- ٨ - مخطوط ٢١٩. بمكتبة دير السريان العامر
- ٩ - مخطوط ٣١٦. بمكتبة دير السريان العامر

قريباً سيصدر كتاب: البابا غبريال السابع
البطريرك الخامس والتسعون

قائمة كتب نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس

أولاً كتب كنسية وطقسية

- ١ - روحانية طقوس أسرار الكنيسة السبعة
- ٢ - روحانية طقس القداس
- ٣ - كيف تستفيد من القداس الإلهي
- ٤ - تأملات في الثلاث قداسات
- ٥ - روحانية الصلاة بالأجبية
- ٦ - روحانية التسبحة
- ٧ - خواطر روحية في التسبحة اليومية
- ٨ - تأملات في مزامير صلاة النوم
- ٩ - تأملات في المزمور الكبير
- ١٠ - روحانية طقس سبت الفرح وليلة أبوغالمسيس
- ١١ - روحانية قراءات الكنيسة القبطية
- ١٢ - أحداث وطقوس أسبوع الآلام
- ١٣ - الصلاة على المنتقلين وأوشية الراقدين
- ١٤ - روحانية طقس جمعة ختام الصوم
- ١٥ - روحانية طقس قداسات اللقان

- ١٦ - روحانية صلوات التجنيز
١٧ - طقس الخطبة والإكليل
١٨ - أسئلة طقسية وإجابات روحية

ثانياً كتب روحية ونسكية

- ١ - الصلاة المقبولة
٢ - سمو الرهينة
٣ - شهود الصليب
٤ - الكلمات السبع الموجهة للسيد المسيح
٥ - من ميامر أسبوع الآلام
٦ - عيد الصعود الإلهي
٧ - التوبة في تأملات الآباء
٨ - نظام قبول المبتدئين في السيرة الرهبانية
٩ - درجات الرهينة
١٠ - حتمية التجسد الإلهي
١١ - ميمر أيوب الصديق
١٢ - الشماسة والشماسات
١٣ - أذكر خالقك في أيام شبابك

- ١٤ - الحسد والإدانة
- ١٥ - الحكمة والإفراز في الجهاد الروحي
- ١٦ - عشر عظات عن الروح القدس
- ١٧ - العليقة والتابوت
- ١٨ - فضيلة الرجاء في سفر يونان النبي
- ١٩ - إقامة لعازر وقيامه المسيح
- ٢٠ - الالتصاق بالله
- ٢١ - العبادة الكاملة
- ٢٢ - الصوم الكبير رحلة إلى الله
- ٢٣ - جدول تاريخ البطارقة
- ٢٤ - تعاليم مار أوغريس
- ٢٥ - سيرة الشيخ الروحاني وبقاة من أقواله
- ٢٦ - الحياة مع المسيح مقتطفات من أقوال مار إسحاق

ثالثاً سير قديسين وأقوالهم

- ١ - الأنبا باخوميوس أب الشركة
- ٢ - الأنبا ويصا
- ٣ - الأنبا خرستوذولوس

- ٤ - شهداء وقديسون إيارشية بني سويف
- ٥ - الأنبا متاؤس الفاخوري
- ٦ - الشهيدين أباكير ويوحنا
- ٧ - المعلم إبراهيم الجوهري
- ٨ - البابا متاؤس الأول
- ٩ - حياة ملشيصادق
- ١٠ - فضائل العذراء مريم
- ١١ - أسماء السبعين
- ١٢ - الشهيد يوحنا الجوهري
- ١٣ - الشهيد إيسيدوروس
- ١٤ - الأنبا حديد القس
- ١٥ - الأربعون شهيد بسبسطية
- ١٦ - الأنبا برسوما السرياني
- ١٧ - القديس كرنيليوس
- ١٨ - الشهيد أبانودي
- ١٩ - مار أوكين المصري
- ٢٠ - الشهيد بيشوت

صفحة	المحتوى
٧	مقدمة
١١	الباب الأول الخشوع في الكنيسة
١٢	١ - وجوب عدم الانشغال في الكنيسة
٢٢	٢ - هل الاجتماع في الأعياد فقط
٢٨	٣ - عادات غير مقبولة
٣٧	٤ - الخشوع في الكنيسة والمواظبة عليها
٥١	٥ - الخشوع والمغفرة يليقان بكنيسة الله
٥٥	٦ - أهمية الخشوع
٦١	الباب الثاني مهابة الأسرار المقدسة
٦٢	١ - القداس الإلهي وفوائده
٧٧	٢ - تناول من الأسرار ومهابتها
١١٥	المراجع
١١٦	قائمة بأسماء كتب نيافة الأنبا متاؤس
١٢٠	الفهرس